الإنسان
في آفاق الكتاب الأخضر

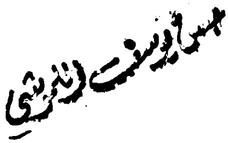


تأليف

العربي حاج صحراوي

مصطفى بو غازي

المركز العالمي
لدراسات وأبحاث
الكتاب الأخضر



https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الإنسان
في آفاق الكتاب الأخضر

الإنسان
في آفاق الكتاب الأخضر

تأليف

العربي حاج صحراوي   مصطفى بوغازي

الطبعة الأولى 1428 ميلادي
رقم الايداع 98/3249
دار الكتب الوطنية - بنغازي

هاتف: 4440705 - 4445565 - مبرق: 20032 - 20668
ص.ب.: 80984 - طرابلس - الجماهيرية

مقدمة الناشر

يسر **المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر** أن يضع بين أيدي القراء العرب في كل مكان كتاباً جديداً حول «**الإنسان في آفاق الكتاب الأخضر**» وهو عبارة عن بحث نظري ـ فلسفي في قَالَبٍ أدبي مشوق. وكما يتضح من عنوان الكتاب فهو يعالج موضوع «الإنسان» كما يتناوله الكتاب الأخضر، وهذا يعتبر من الموضوعات الحساسة والدقيقة عند دراسة أي نظرية أو أي إيديولوجية.

فكما نعلم، فإن كل الايديولوجيات العالمية تعرضت بشكل مباشر لهذا الموضوع الهام؛ حيث عملت جميعها ـ وبدون استثناء ـ على تحديد موقفها من الإنسان والطبيعة البشرية. وهذا الأمر مهم جداً لأن الموقف الايديولوجي من الإنسان يترتب عليه، كضرورة حتمية، اختيار وتحديد نوع المؤسسات السياسية الملائمة لنظرة تلك الايديولوجيات للإنسان أو كما استوعبته تلك الايديولوجيا.

في مطلع الصيف الماضي 1997 ف. ظهر كتاب الأستاذ الدكتور نديم البيطار: «التاريخ كدورات ايديولوجية: فكرة المجتمع الجديد»، وقد كتب: «[أن] الجماهيرية تجربة تعبّر عن نظرية مثالية في المعنى التالي، وهو أنها تقوم على مفهوم حول الإنسان ككائن قادر على تحرير ذاته وتطويرها، ككائن يعني، أو يمكن أن يعني، سيرورة من التجاوز الذاتي في مجتمع يتحول باستمرار نحو مستويات تاريخية أعلى تحركها مقاصد عليا يمكن للعقل الإنساني أن يكشف عنها ويوجّه إليها» (ص 333). وهذا الكتاب الذي يصدر اليوم يصل إلى النتيجة نفسها ولكن الكاتبين لا يفصحان عن ذلك.

إن أهمية هذا الكتاب في أنه يتمثّل بـ :

أولاً: أنه أوضح بقدرٍ كافٍ المكانة الرفيعة والسامية التي أعطاها الكتاب الأخضر للإنسان كمخلوقٍ قادرٍ على التفكير وإعمال العقل السليم، وكمخلوق يعتقد ومستعد للموت من أجل فكرة، وكإنسانٍ قادرٍ على التكلم وبالتالي قادر على تطوير ذاته، وكمخلوق قادر على حكم نفسه بنفسه، وكمخلوق مبدع، وكمخلوق ذي مبادىء تقوده إلى العدالة والقيم الإنسانية، وكإنسان يتطلع نحو عالم أفضل.

ثانياً: أن هذا الكتاب يوضح بقدرٍ كافٍ البعد الإسلامي في

تفكير معمر القذافي ونظرته إلى الإنسان. فالحقيقة أن المؤلفين يوضحان ذلك بدون أي شيء متعمد أو مفتعل، بمعنى أن الفكرة التي يوضحانها عن مكانة الإنسان في فكر الكتاب الأخضر هي تأكيد للتكريم الإلهي للإنسان كما ورد في القرآن الكريم. ونحن نعتقد أن هذا الجانب مهم جداً، لأن النظرية العالمية الثالثة بالرغم من أنها ليست نظرية دينية أو لاهوتية إلا أنها منسجمة مع التعاليم السموية التي كرمت بني آدم وجعلته جديراً بأن يكون خليفة الله على الأرض.

ثالثاً: أن هذه الدراسة توضح مدى الارتباط الوثيق بين الإنسان الفرد، الذي احتل أهمية خاصة في فكر الكتاب الأخضر، وبين المجتمع الجماهيري، الذي كرست النظرية العالمية الثالثة نفسها لتوفير المؤسسات الجماهيرية الملائمة له لتحقيق سعادة الفرد والمجتمع في آن واحد.

بقي لنا أن نضيف أن المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، وهو يقدم هذه الدراسة، أن المكانة التي أعطاها الكتاب الأخضر للإنسان هي التي انتخبت ذلك النوع من المؤسسات السياسية الملائمة والمتناغمة مع طبيعة الإنسان. فالديمقراطية الشعبية بمؤسساتها (المؤتمرات الشعبية الأساسية، واللجان الشعبية، ومؤتمر الشعب العام) هي المؤسسات الشعبية

التي ستكون في خدمة ذلك المخلوق، بل وهو الذي سيجدها ملائمة لتحقيق تطلعاته. وهنا يتضح الفارق بين النظرية العالمية الثالثة وبقية الايديولوجيات العالمية: فالنظرية الليبرالية بالرغم من أنها نظرت إلى الإنسان على أنه مخلوق طيب بطبيعته ودافعت عن حريته وقيمته وآدميته إلا أنها اخفقت في تحديد الآلية أو المؤسسات التي ستحقق الحياة الفاضلة لهذا الإنسان، وبالتالي وضعت المؤسسات السياسية تحت رحمة القلة الغنية القادرة على الهيمنة على هذه المؤسسات. كما أن النظرية الماركسية قد صورت الإنسان على أنه مخلوق مبدع ومنتج وذو طاقات هائلة إذا تحررت، وأنه ذو طبيعة خيرة ومحب للتعاون والحياة الاجتماعية، إلا أنها أخفقت هي الأخرى في وضع الآلية الملائمة لتطوير هذا الإنسان وتحرير حاجاته، ووضعته تحت رحمة الدولة وآلياتها المختلفة.

أما النظرية العالمية الثالثة فقد نجحت في توفير هذه الآلية عندما وضعت السلطة بيد الجماهير. «فالآلية الجماهيرية ترجع باستمرار إلى المؤتمرات الشعبية كمنطلق وكمرجع» (البيطار، المرجع نفسه ص 704). «لقد انشغل القذافي أساساً بالآلية التي تستطيع أن تحقق على أحسن وجه ممكن تحقيق الديمقراطية الاجتماعية الاقتصادية، توزيع السلطة وتكريس اللامركزية إلى

درجة تستطيع بها، عاجلاً أو آجلاً، تحقيق الديمقراطية المباشرة وإلغاء الدولة» (ص 728، المرجع السابق نفسه) وبالتالي تحرير الإنسان من كافة القيود.

وفي خاتمة هذه المقدمة، نتمنى أن يجد القارىء في هذه الدراسة توضيحاً كافياً لمكانة الإنسان في الكتاب الأخضر، وأن يكون هذا الكتاب حافزاً نحو دراسات فلسفية أكثر عمقاً لسبر غور المعاني السامية التي احتوت عليها الفلسفة الإنسانية لمعمر القذافي.

المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

طرابلس أول من شهر ذي القعدة

الموافق 29 النوار 1428 ميلادية

فبراير 1998 إفرنجي

المقدمة

إن الفكر الحي هو ذلك الذي يغور في عمق الحياة البشرية، يتفحص دقائقها ويتأمل حيثياتها، غايته البحث عن كل ما يكمل نقائصها ويستأصل شوائبها. ومثل هذا الفكر يعيش ما عاش إنسان هذه الحياة، ويتأثر بالمكانة التي كانت لها.

ويصبح على مرّ الأيام إرثاً وملكاً لكل الناس، من سنائه يستضيئون، ومن درره يكتسبون ومن ينابيعه وسلسبيله يغرفون، ويرسمون لحياتهم التي يحلمون بها صوراً في غاية الروعة كما يجعلون منه سلّماً نحو السموّ والرقي والازدهار والابتعاد عن حياة الغوغائية التي يحاول مرضى البشر أن يصبغوها على الحياة، وغايتهم في هذا المنحنى هدم وكسر أحلام الإنسان وإلباسه بَرَاقع ما كانت لتكون لهذا المخلوق الخارق في عقله ومنطقه وقدراته التي جعلته يستأثر بالعلاقة لتعمير الأرض ولكي يسوسها بما أودعه الله من بواعث التفوق والأهلية.

والكتاب الأخضر خاصة وفكر معمر القذافي عامة، هو أهم ما تتوفر فيه شروط ما سبق ذكره، بل أكثر من ذلك إلى حدّ أن كل ذي عقل منقذ ومنطق سوي لا يمكنه أن يمرّ دون أن يتوقف متعجباً من عمق النظرة، متأملاً منتهى الغاية معترفاً بفضل الحكمة، ملتمساً مزيداً من التجربة، واقفاً على دقائق الأشياء مباركاً للإنسانية، خير مدافع عن حقوقها، وراسم لتطلعاتها من أجل خلاص أبدي وواضع لها نبراس الاهتداء في كل زمن مظلم تصادفه في طريقها المزروع أشواكاً من البدء حتى النهاية من طرف أعدائها ومناوئي كل فجر يلوح بعد ليل حالك.

ولعلنا من كثير ممن استوقفهم هذا التفكير الحي الذي لا يموت أبداً نحاول أن نتأمل ما تيسّر منه وما رسمه هذا المفكر الإنسان للإنسان، من سبيل انعتاق ومشاعل إشراق مركّزين على البُعد الإنساني في هذا الفكر الذي يكاد ينصرف في مجمله إلى هذا المجال ألا وهو الإنسان والحرية، وانسان الكتاب الأخضر ليس دمية توجه كما شاؤوا ومتى أرادوا يلبسونها ما شاؤوا، مرة ثوباً روحانياً وأخرى شيطانياً وتارة ترابياً، بل هو ذلك الإنسان الذي يعرف نفسه بنفسه. إنه روح وجسد وأنه صاحب رسالة كونية استخلفه الله في الأرض فلا وساطة بينه

وبين الخالق كما من حقه امتلاك حاجياته وممارسة مطلق حريته التي لا تضرّ بالآخرين يدافع عنها ويثور من أجلها بكل ما أوتي من قوة، إنسان لا يرضى الظلم لنفسه ولا للآخرين، إنسان الكتاب الأخضر هو النموذج الذي لا بدّ أن يسود الأرض كونه الفاعل المؤهل ليشرّف البشرية من أولها إلى آخرها. فمن أراد هذا الشرف فليجعل الكتاب الأخضر معلّمه ومنقذه وهاديه إلى حياة العزة والكرامة.

لم أجد مثل الكتاب الأخضر
من نضار، قد بدا أو جوهر
فيه من كل ثمار المشتهي
وبه للناس أحلى معبر

المؤلفان

لماذا الكتاب الأخضر؟

إن الإنسان الذي أثبت الواقع أنه قدرة فاعلة ومؤثرة في هذا الوجود اختلفت نظرته إلى نفسه من فترة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر وظلّ لغز حقيقته صدمة تتوزّع على الأزمنة والأمكنة ومادة خاماً لكل من طَرَق أبواب الفلسفة وذهب في المجهول الميتافيزيقي. ولعله اللغز حقيقة ولعله غير ذلك، كلٌّ من حيث ينظر وكلٌّ من حيث يحلو له التناول. ورغم حقيقة الأديان التي في صفوتها أفلحت في تحديد هالة هذا المخلوق والنظر إليه بعين الانتقاء والتكريم ويلخص ذلك في **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُم عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِنَا تَفْضِيلاً﴾**. ورغم هذه النظرة السماوية إلى الإنسان فإن هناك من رأى غير ما رأى الآخر.

الإنسان القوة القاهرة التي بإمكانها تسخير الصعب وإذابة الصلب، يصارع الطبيعة ويحاول أن يستمد من جبروتها وقسوتها صلابته وصلادته ويستلهم من جمالها وفجاجتها

وغرابتها طقوسه وتسكن ظواهرها أعماق نفسه وتعشش في دهاليز أخْيِلَتِه، فراح ينسج أساطيرَ وقصصاً من عمق سرياليته ويقيم طقوساً ومراسم تدلل اعتقاده.

لم يبقَ الإنسان على هذه الصورة مع مرور الأزمنة والأحقابِ لينتقل من إنسان غارق في تفسير ضبابية ما يحيط به وطلاسم كينونته وكَنْه الطبيعة والعوامل المؤثرة فيها إلى إنسان يسمو بروحانيته ويلامس السماء بمثالية كما رأى أفلاطون ومن سار في دربه أن الإنسان يسمو بنفسه وروحه لاستعادة الفردوس المفقود ورسم حدوده على هذه الأرض وفي مسرح الحياة. والمدن الفاضلة عند الفلاسفة تجعل الإنسان ينطلق بصمت محاكياً قوة خفية في صفوها وترفُّعها وكرامتها، ينشد قيماً روحية محضة أملاً في الوصول إلى أصله وإلى الشعلة النورانية ليسترد مكانته الأولى عبر مَلَكوت الصفو والطهارة. وهكذا راح يعزل الجسد ويحرمه من كثير مما هو مجبل عليه مسبقاً كجسد ترابي وينظر إلى هذا الجسد ونوازعه وغرائزه وميولاته كَتَوافِهَ يجب أن يتخلى عنها وفي المقابل يطلق العنان للروح وجوانبها وميولتها الشوقية المتشبثة بفضائل السماء والاعتقاد المطلق أن الإنسان ما كان إلا روحاً تحلّق في عالمها الفسيح.

ووراء هذا التحرر كرّس الفلاسفة أصحاب المدن الفاضلة

أفكارهم وتصوراتهم معتبرين أن مَن لم يتّبع هذا السبيل فهو خارج دائرة الإنسان. وهنا كان الإنسان فاقداً لحقيقته. وفي كل مرة تحاول المفاهيم أن تجعل الإنسان في صورة أخرى غير التي كان عليها. فها هو الإنسان اللاهوتي يحتل فترة تاريخية أخرى ويأخذ تمايزاً أكثر في مفاهيم الكنيسة التي جعلت من القرون الوسطى ليلاً دامساً وعنواناً لها ما يزال الإنسان يتحسر على تلك الفترات التي كان منوّماً، حين كانت الكنيسة آلة تفعيل المجتمع والوصية على حياته وآخرته. ونتيجة الاعتقاد الخاطىء ظل يعتقد بوجود أوصياء، ووسطاء بينه وبين خالقه، فبرضاهم تنزل عليه بركاته وبسخطهم يكون قد خسر فردوس الآخرة، حتى بلغ الحد بوسطاء الرحمن منح صكوك غفران لمن كانوا أكثر خدمة وموالاة وإيماناً بتخاريف الزمن المغتصب من تاريخ الإنسان. إنه الإنسان الذي استسلم كلية للقدر المحتوم وأصبح خائر القوة مسلوب الحرية. ولكن العقل سرعان ما يستيقظ ويثور على العبودية والدكتاتورية الدينية التي تركت بصماتها على القرون الوسطى متأثراً بالثورة الصناعية في أوروبا والتي بيّنت قدرات الإنسان العقلية وأبدت وجهاً آخر لا يقبل أن يظل أسير منطق مجموعة من مرضى التفكير والاعتقاد الخاطىء. ومع ثورته على ظلامية القرون الوسطى بدأت ملامح الزحف الفكري المادي تنمو. وفي رحم القفزة النوعية في شتى

مجالات العلوم، راح ينبهر بهذا التقدم وأخذ الفكر المادي يطغى بشكل ملفت للانتباه وبدأ الإنسان ينسلخ من روحانيته وإنسانيته ليصبح مجرد أداة مادية في عمر مادي تختفي فيه كثير من المقومات والقيم. وظل التأرجح قائماً رغم أن القرآن قد فصل في هذا منذ قرون وبيَّن أن الإنسان روح وجسد والأخذ بواحدة هو اعتداء على حقوق الإنسان وانتهاك لها وتقييد للحريات وإهدار لها. وهكذا غابت النظرة الحقيقية للإنسان مرة بإسم الدين ومرة بإسم المادة وأخرى بإسم أمور شتى، وبدأت نداءات المطالبة بحرية الإنسان في شكل مواثيق بدءاً من الثورة الفرنسية عام 1789 ف.: الحرية ـ العدالة ـ الإخاء، إلى ما جاء في ديباجة ميثاق الأمم المتحدة في 25/ 06/ 1945 ف. نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والأمم صغيرها وكبيرها من حقوق متساوية.

كان الأمل قائماً في أن تحفظ هذه المبادىء والمواثيق كرامة الإنسان وتعيد له ما ابتُزّ وضاع منه منذ قرون، ويصحو على فجر الحضارة وقد تخلص من قوانين الغاب وعصور الظلامية التي جثت على كرامته طويلاً وتنكرت لحرمته ولكنه اكتشف أخيراً أن هذه المواثيق والمبادىء كانت تخدم الأقوياء وترعى

مصالحهم أينما كانت ولم تكن تنظر إلى الضعفاء والمهزومين في العالم وهم يكابدون شظف العيش يحصدهم الجوع والمرض والكوارث ويعانون من وحشية استغلال الأقوياء، وأصبحت تلك الدول التي نادت بحقوق الإنسان تمارس الإرهاب المنظم والاستغلال البشع، تعتدي على دول وشعوب وتلاحق الإنسان جماعات وفرادى، تتبجح بحقوق الإنسان وهي تنتهك هذا المبدأ حتى في مناطق نفوذها وأراضيها. ومع تناسي هذا الانتهاك الفظيع ظهر الكتاب الأخضر كأكبر مدافع عن حقوق الإنسان وعن حريته لا جزئياً كبقية المواثيق ولكن كلياً ومبشراً بعصر الجماهير الذي تعود فيه الكلمة إلى الفرد ليحكم نفسه ويتدبّر شؤونها ويمارس حرياته كاملة ويحرر المقهورين في العالم ويؤسس فكراً إنسانياً بعيداً عن الذاتية والجهوية والتعصب والتمييز في اللون والدين والثقافة والجنس ويحرص على الثورة ضد كل أنواع الاستغلال والدكتاتورية سواء في السياسة أو الحكم، فالحكم للشعب وهو الذي يراقب نفسه، أو بالنسبة للاقتصاد حيث يتحرر الأجراء من عبودية الأجرة (**شركاء لا اجراء**) يمتلك كل حاجاته، ويتحرر رقيق العمر الحديث من خدمة بيوت الاستغلال. كما تتساوى المرأة والرجل إنسانياً وتُصان حقوق الطفل بإعادته إلى أحضان أمه ليلقى عناية كافية ورعاية تبعده عن دور الحضانة (الاصطناعية) وتضمن للفرد

حقوق التعليم دون إجبار أو إرغام بل يختار الفرد ما يتعلم وحق الجميع في ممارسة الرياضة وحرية الابداع في شتى الفنون والآداب.

إن الكتاب الأخضر يحق له وبكل جدارة أن يكون كتاب حقوق وحريات الشعوب على مختلف مشاربها. وهو كتاب البشرى الكبرى لميلاد مجتمع الجماهير من شرق الأرض إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها لينبثق من هذا الكتاب ومن فكر معمر القذافي ومن المجتمع الجماهيري الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان التي تبقى أكمل وأكبر وثيقة يفتخر بها الإنسان في كل مكان وفي كل زمان.

مدخل

الإنسان كائن. بإرادته وقوته، بميوله ونزعاته ظل يتخبط في جحيم القلق ويتضوّر من ويلات المصائب والهموم على الأرض، بل لا يزال يكابد المشاق والمشاكل في صراع دائم بين القانون الذي تفرضه الطبيعة وأهواء بني جلدته من البشر. وفي غمرة هذا التطاحن من أجل ضمان أمنه وتوفير متطلباته من مأكل ومشرب وحياة كريمة، يكاد لا يظفر إلا بأيام في حياته يقضيها في سعادة، سرعان ما تصبح من جديد مُحاطة بجحيم المخاطر والتواءات المجهول وانزلاقات المفاجأة، ومن نظرة متأملة يتبيّن جلياً أنه يحمل في نفسه مصدر ما يعانيه وما يكابده من شظف العيش، أي أن سبب شقاء الإنسان هو أخوه الإنسان.

إن حقيقة الإنسان تكمن في تحقيق حريته، وبممارسته هذا الحق الطبيعي يكون أسعد المخلوقات على الاطلاق بما حباه الله من قدرات فائقة ومن عقل جعله يقهر الطبيعة

بمستعصياتها. وفي ظل الوقوف في وجه قيام هذا المبدأ أصبحت سعادة الإنسان تتوقف على ما يحدثه هذا لذاك من مآسٍ وويلات، وما يزرعه من ضغائن وأحقاد، وإلا لا سعادة، فأزهرت أشواك الكراهية وأحكمت أغلال العبودية لتتبرعم فتن لا تهدأ وتشتعل حروب، فيبقى الإنسان ذلك الكائن الذي يحصده الجوع ويطحنه الفقر ويلويه المرض، في المقابل تعيش القلة من مخططي هذه الآفات في أبهى حلل الازدهار وروعة الأبهة، تأكل ما تشتهي، وتلبس ما يروق لها، وتستحوذ على ما تَرضى، وتفعل بخلق الله ما تشاء بل تزداد حبوراً وطمأنينة كلما امتدت يدها الآثمة نحو أفواه الضعفاء والفقراء ونحو جيوبهم لتحدث أفدح الجراح وأشد الآلام مروّعة ومفزعة الجحافل على مختلف الأعمار نساءً وأطفالاً، رجالاً وشيوخاً، لتعود بما حوته غير مبالية، بل مستعدة لغرس مخالبها أنّى وجدت طريقاً ومنفذاً لأجساد أخرى تملّكها الضعف والخوف وفقدت كل قدرة على المقاومة. وحتى تضمن مكاناً بعيداً عن خطر الزوال وارتجاجات السقوط ومن مباعث الخطر راحت تعزز صفوفها وتلتف حول بعضها البعض في تجمعات مختلفة، حزبية أو حكومية أو غير ذلك من أشكال التكتل، أو في مستويات اجتماعية يربطها خيط رفيع مرة وخشن مرات أخرى، وعلى مرأى من الجماهير المغلوبة على

أمرها والتي لا تصلح في قاموس هؤلاء إلا أن تكون مفعولاً به لا فاعلة أبداً، فمن خدم وعمال أشغال شاقة إلى جيوش جرارة تحمي هؤلاء وتحرسهم من أدنى حرج يمكن أن يحدث. وشيئاً فشيئاً تحولت هذه التكتلات ذات المصالح المشتركة، إلى قوى قاهرة تدرجت في مستويات جهوية إلى شمولية، فصارت تجمعات دولية، تجر العالم إلى وتيرة غير معهودة وانفراد خطير جداً، فصار مصير العالم والبشرية مرهوناً في أيدي أشخاص مرضى يملون سياسة الاستغلال والاستعباد والإرهاب على العالم كله. وفي هذا الزخم راح البعض يؤسس وَيُقَنْون مبادىء ومواثيق لحرية الإنسان ليدسَّ السم في العسل وذر الرماد في العيون، لتكون هذه الحقوق مظلات لإهدار الحقوق، وتحقيق مصالح هؤلاء المنضوين تحت لواء منظمات إرهابية في أثواب إنسانية، وبين هذا وذاك ضاع الإنسان وضاعت حقوقه وحرياته، وعلّقت أحلام على مذبح اليأس والقنوط من أن يأتي غد مشرق، وراح الإنسان يميل إلى أن هذا قدر محتوم لا يمكن أن نجد أفضل مما نحن فيه. إن لكل اشتداد فرجاً، ولكل ظلام نوراً، وبعد كل تقلص امتداد، وعليه فقد آن للبشرية أن يهلّ فجرها، وتنعتق شمسها، وتتنفس الصعداء بعد وبال المحن المتكررة التي لم تفلح القوانين الوضعية في تخليصها. ولم تكن ترجمة ما حوته تعاليم السماء محققة على واقع

الأرض، وباءت تصورات الإنسان بالفشل وبقي الإنسان يتخبط في مشاكله.

الإنسان يحكم

لقد كانت رسالة الخلق واضحة وأمرية الاستخلاف في الأرض وتعميرها بينة في سنن الواقع وتفاصيل الرسالات، فالحكم والاستخلاف هبة من السماء ومبدأ طبيعياً ولم يمنح هذا الحق الإلهي والطبيعي لإنسان دون آخر أو يحدّد له. وفي المسؤولية التي تنسحب على الجميع إثبات لحق الإنسان في الحكم، ولا ينبغي لأحد أن يتحكم في الآخرين إلا بالرضى والأهلية التي تستأثر بكل الحزيات «**متى استعبدتم الناس وقد ولدتكم أمهاتكم أحراراً**».

إن من يحكمك لا شك أنه يقيّد حريتك، والحرية حق لكل إنسان موجود قبل المجيء (**اداة الحكم هي المشكلة الأساسية الأولى التي تواجه الجماعات البشرية**) بل (**اصبحت هذه المشكلة خطيرة جداً بعد ان تكونت المجتمعات الحديثة**).

(*) (......) من الكتاب الأخضر، «......» من الوثيقة الخضراء لحقوق الإنسان.

هذا الطرح في الكتاب الأخضر الذي يصوّر هَوْل المشكل الذي طالما تخبطت فيه البشرية وعانت الويلات، ومن أجل الحكم سفكت الدماء، وزرع الفناء في أكثر من مكان، وقُطعت الرِّقاب، وانتشر الخراب وتفككت العائلات والأسر، وأصبح في البشر ذئاب وخراف، أسياد وعبيد، جلادون ومعذبون، وأصبح أمر الأهل في يد غير الأهل. لقد عالج الكتاب الأخضر المشكلة بما يفتح مجالاً جديداً للبشرية، لو أحسنت استغلاله في ما يعيد إليها الأمل المنشود في حياة آمنة وكرامة مستديمة لسببين: أولهما أن الكتاب الأخضر يبقى متميزاً عن الكتب الوضعية ليرقى إلى مستوى اعتباره هِبَة من السماء لإنقاذ البشرية تفتقت بها عبقرية إنسانية. أما السبب الثاني فيرجع إلى فكر معمر القذافي الذي يغور في أعماق المعاناة البشرية ويبحث لها عن الخلاص ولا هدف له وراء ذلك.

لقد جاءت الديمقراطية التي هي حكم الشعب والتي نادى بها الفلاسفة والمفكرون وقفزت في هذا العصر لتكون موضته وتلبس أثواباً أكثر إغراءً وجاذبية لتخفي ما يكتنف نفوس حاملي هذا الشعار من نفاق وأهداف مبيّتة. وأصبح الكل يتغنى بها مدركين معانيها أو غير دارين، إلى أهداف أصحابها أو غير

متنبّهين، فباسمها يُداس أفراد وتُهان جماعات وتُركّع دول، وبشرعية صحيحة ظاهرياً مزيّفة باطنياً، وبذلك يضيع حق من حقوق الشعوب، وما ينجرّ عنه من ضياع لهذا الحق.

إن الديمقراطية الحقة هي التي يمارسها الشعب مباشرة دون نيابة، يمارسها عن طريق المؤتمرات واللجان الشعبية فيكون الحكم منبثقاً عن الشعب، لا عن طريق ممثلين لا يستوعبون حاجيات الناس حتى ولو صدقوا، فما بالك إذا خانوا تحت وطأة وابل الاغراءات أو ويل التهديدات؟ هذا هو مفهوم الكتاب الأخضر للديمقراطية (**لا نيابة عن الشعب والتمثيل تدجيل**). إن ما يصطلح عليه مجالس نيابية هو خدعة أو أكذوبة على الناس وتحريف للديمقراطية (**المجالس النيابية تزييف للديمقراطية**).

لقد أثبت الواقع أن الانتخاب في حد ذاته شرعية غير سليمة ولعبة مجحفة كما فضحها الكتاب الأخضر، فكيف يحكم صاحب 51% من الأصوات 49% من الرافضين إياه أو ينوب عنهم، أو صاحب النسبة القليلة مقارنة مع مجموعة من المنافسين (**... إن نتيجته كاداة حكم دكتاتورية ولكن في ثوب ديمقراطي مزيف..**) والناتج عن كل هذا أنظمة دكتاتورية لن ترحم شعوبها أبداً ولا تنظر إلا إلى مصالحها ونزعاتها الحزبية

وتطلعاتها التسلطية وإن كان هذا النوع من الانتخابات غير منطقي، فما بالك إذا أصبح مزوّراً كما يترجمه الواقع، أصوات تُشرى برغيف من الخبز وأخرى محاباة لأغراض ضيقة، وأصوات تُغتصب عنوة عن طريق التهديد والترهيب وأساليب متعددة عند صُنّاع القرار، جزّاري الشعوب المضطهدة.

إن الحزبية نقيض الديمقراطية، ليست لتخدمها في شيء إنما في الحقيقة تنخرها من العمق (**مَنْ تحزّب خان**) و(**الحزبية إجهاض للديمقراطية**) و(**المجلس النيابي حكم غيابي**). كلها نظريات الكتاب الأخضر تقف على دقائق الألاعيب والدسائس والالتواءات السياسية التي تضيع خلالها حقوق وحريات الشعوب، تكشفها علانية وتدلّ بما لا يدع للشك أن الحكم النيابي أشبه بحكم الميت، وحتى هذا الأخير يكون في طلاق مع الدنيا فلا يهمه ما يحدث بعده.

الديمقراطية الحقة أبداها الكتاب الأخضر من خلال جعل سلطة الشعب المطلقة، وهذا حق ورد في الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان في المبدأ الأول: «**الديمقراطية في الحكم الشعبي وليست التعبير الشعبي. يعلن أبناء المجتمع الجماهيري أن السلطة للشعب، يمارسها مباشرة دون نيابة ولا تمثيل في المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية**».

وتفترض النظريات الديمقراطية التقليدية أن الشعب حين يعبّر عن رأيه ليس بالضرورة سيُستجاب لرأيه، فكم من ديمقراطيات كانت لشعوب وفتحت للمواطنين مجال التعبير؟ ولكن تلك الشعوب أعياها التعبير في غمرة فقدان المطالب. فما فائدة التعبير إذا لم تكن هناك استجابة فورية، إن حكم الشعب هو البديل وهو الأصل الذي يُمكِّن هذه الشعوب من تقرير مصيرها ومستقبلها، وانتشار اللجان هنا وهناك، تستقصي هموم الناس وآمالهم وتطلعاتهم من خلالها ومن خلال المؤتمرات الشعبية التي يشارك فيها كل المواطنين وبمختلف مستوياتهم (**اللجان في كل مكان**) وهنا تكون مصادر القرار شعبية، تحمل كل الرضى والاقتناع وكذلك الذي يحفظ هذه القرارات والمبادرات هو الشعب نفسه (**الديمقراطية رقابة الشعب على نفسه**). هذه هي الديمقراطية الحقيقية والواقعية التي تسمح للجميع بالتعبير عن آرائهم، وتعليل كل ما يحتاج إلى ذلك، لا ديمقراطية «نعم» أو «لا» كما يجري في الاستفتاءات الخادعة والتي يعتبرونها من أساسيات الديمقراطية، ولكنها لا تسمح للمواطن إلا بكلمة مبهمة على طرح لا يحتاج إلى التدقيق كالترويج لبضاعتين لا خيار دون أخذ إحداهما بمحاسنها وشوائبها. هذا الاستفتاء لا يسلم عادة من الترويج له بالإغراء كما أنه لا يخلو من استعمال وسائل الترهيب والتخويف وإهانة

وإذلال المواطن فهل بقي شيء من الديمقراطية التي ينادون بها يستحق الأهمية؟

لقد فتح المجتمع الجماهيري للمواطنين كل أبواب الحرية، وجعلها ذات معان سامية صحيحة. (**الديمقراطية هي رقابة الشعب نفسه**). فالمواطنون جميعاً أعضاء في المؤتمرات الشعبية ينتمون انتماءات مختلفة مهنية ووظيفية، لهم حق تشكيل مؤتمرات شعبية معينة أو وظيفة خاصة بهم علاوة على كونهم أعضاء في المؤتمرات الشعبية الأساسية. ولا تعتقد أن هناك ديمقراطية أفضل من هذه تأخذ بهذا الأسلوب الذي جاء به الكتاب الأخضر ليؤسس عصر الجماهير وتحل هكذا مشكلة من مشكلات العصر ألا وهي أداة الحكم وتنتهي الأدوات الدكتاتورية ويصبح الشعب أداة الحكم، ولا تصبح مشكلة ديمقراطية في العالم.

هكذا يحكم الإنسان ويمارس حقّه الطبيعي الذي لم يكن هبة من أحد. وبهذا يسترد أهم حقوقه وأهم عناصر حريته المشروعة المستمدة من الدين أو العُرف ولا سوى هذين المصدرين، فالدساتير المملوءة عقوبات لم يضعها الشعب بقدر ما هي موضوعة على مقاسات الدكتاتوريين ووفق خنق إرادة الشعوب وهي تُعرض أو تُفرض فرضاً لتصبح بعد ذلك غطاء

للشرعية العقابية والتعسفية؛ كما هي شرعية الحكم المزيفة التي تجعل سيادة الشعب مجزأة في الوقت الذي نجد فيه أن حرية وسيادة الشعوب لا تتجزأ كما ورد في الكتاب الأخضر منقذ الإنسان والمبشِّر بعصر حريات وخلاص البشرية المقهورة في كل بقاع العالم

(إن النظام الديمقراطي وفقاً لهذه النظرية بناء متماسك كل حجرة فيه مثبتة على ما تحتها من المؤتمرات الشعبية الأساسية والمؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية إلى أن تلتقي كلها في حلبة مؤتمر الشعب العام، وليس هناك تصوّر آخر لمجتمع ديمقراطي على الإطلاق غير هذا التصور).

الإنسان يعمل

لا حرية بلا عمل ولا عمل بلا حرية، **(في الحاجة تكمن الحرية)** منطقي جداً أن يكون العمل الطريق إلى الحرية، فلا حرية وحاجاتك في يد الآخرين، ولقضاء حاجتك لا بدّ من سعي وجهد وعمل، فيه تمتلك حاجياتك عندما تكون مستغنياً عن الآخرين وكذلك لا يحق لآخر أن يمتلك حريتك أو جزءاً منها فالعمل طريق الانعتاق.

والله حين استخلف الإنسان في الأرض فمن أجل تعميرها ولا تعمير إلا بالعمل انطلاقاً من الحكم إلى بلورة هذا على أرض الواقع عملاً منتجاً يحقق رغباته، ويضمن النجاح والتوفيق والموهبة أهلية الاستخلاف **﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**، فأمرية العمل سموية ومنطقية وضرورة حياتية لا يمكن لإنسان أن يتملّص منها، أو يسقطها عنه أحد، أو يمنعه منها، بل هي واجبه وحقه الطبيعيان **(فالعمل واجب وحق كل فرد في حدود جهده بمفرده أو شراكة**

مع آخرين، ولكل فرد الحق في اختيار العمل الذي يناسبه)، إن الكتاب الأخضر وهو يخوض معركة حقوق الإنسان مع مجتمعات الاستبداد والظلم ينظر إلى العمل نظرات متقدمة جداً، نظرات تعالج القضية من أساسها إلى نهايتها، وينتصر إلى العمال في حدود حقهم الطبيعي.

نحن لا نعدم أو ننفي التطور الايجابي الذي تحقق للعمال على طول زمنهم النضالي كما يقرّ ذلك الكتاب الأخضر، فقد وجدت قوانين لحماية العمال والدفاع عنهم، وتحققت مطالب كتحديد ساعات العمل كما تحسنت الأجور وأصبح هناك حداً أدنى لها، ومنع الفصل التعسفي وأعطي حق الاضراب والضمان أثناء حوادث العمل وهذا لم يشمل كافة العمال، بل هناك من ما تزال أوضاعهم مزرية وحقوقهم كلها مهضومة. ورغم التقدم المذكور فالمشكل لم يحلّ ولم يُعطَ الأجير حقه، بل بقي عرف الاستغلال الفاحش لمجهود الأجراء والعمال في شتى أمكنة العمل العامة والخاصة.

وكل التحسينات أو الايجابيات التي تحققت هي أقرب إلى صور من الاحسان والتعاطف منها إلى الاعتراف بالمجهود المبذول والمحقق، حيث إن العمال ليسوا في حاجة إلى إحسان أو تعاطف بل الاعتراف بحقهم فهم الأصل في العملية

الإنتاجية، وتلك المكاسب المحققة هي جزء من كل ولا ينبغي لأحد أن يدّعي أنها تتماشى وكرامة الإنسان العامل.

إن الكتاب الأخضر يجعل الحق للعامل في اختيار العمل الذي يناسبه ويساعده على بذل أكثر وإتقان أفضل، فيصبح العمل غاية قبل أن يكون وسيلة، وهنا ينفجر الابداع وتتحقق الغاية المرجوة من العمل في الأمل. ويركز الكتاب الأخضر على أهم مشكلة وهي أجرة العمل التي يرى أنها غير منطقية بالكامل ولا تتناسب مع الواقع والمنطق الذي وصل إليه العالم، بل ومتناقضة مع طبيعة الإنسان الذي يصير بسببها مهضوم الحقوق ومنتهكاً من طرف أصحاب العمل سواء خصوصيين كانوا أو عامين (**شركاء لا اجراء**). وفي وثيقة حقوق الإنسان الكبرى المنبثقة عن الكتاب الأخضر والمجتمع الجماهيري نجد **«... والمجتمع الجماهيري هو مجتمع الشركاء لا الأجراء...»**. ومنه أن الأجرة هي قيد وظلم **«... أبناء المجتمع الجماهيري أحرار من ربقة الأجرة تأكيداً لحق الإنسان في جهده ونتاجه فالذي ينتج هو الذي يستهلك»**.

ويحدد الكتاب الأخضر عناصر الإنتاج بثلاثة في المجمل. مواد الإنتاج، وسيلة الإنتاج، منتج، وبدون أحدها لا يمكن أن يكون إنتاج، فإذا كانت ثلاثة ينبغي بل يجب أن يُقسم

الإنتاج على ثلاثة، وإذا كانت اثنين فعلى اثنين يكون تقسيمها، وهكذا يعلو العدل ولا يظلم أي طرف من الأطراف، وتتحقق الشراكة.

(وما دام كل عنصر من هذه العناصر ضرورياً أساسياً، إذن هي متساوية في ضرورتها في العملية الإنتاجية، ولا بد أن تتساوى في حقها في الإنتاج الذي أنتجته، وطغيان أحدها على الآخر هو تصادم مع القاعدة الطبيعية للمساواة وتعدّ على الغير، إذن لكل عنصر حصة بغضّ النظر عن هذه العناصر، فإذا وجدنا عملية إنتاجية تمت بواسطة عنصرين فقد يصير لكل عنصر نصف الإنتاج، وإذا تمت بثلاثة عناصر يصير لكل عنصر ثلث الإنتاج... وهكذا).

إنه ليس من المنطق أن ينال من يُنتج 10 تفاحات تفاحة واحدة، ولولاه ما كان شيء من التفاح، إن نيله 5 تفاحات على الأقل منطقي، أليست 4 تفاحات هي حق ضائع من مجهود العامل، ألا يُعتبر هذا كما جاء في الكتاب الأخضر استغلالاً فاحشاً وعبودية جديدة، إن العامل في ساعات العمل الفصلي يُعتبر عبداً لصاحب العمل كما يكون عبداً خارجها بالتبعية

النفسية كالشعور بالنقص بين الآخرين لطبيعة عمله الذي جبله على منطق العبودية، فهو تحت سلطة صاحب العمل ووفق النمط المسخّر له، يعمل ما يؤمر، وليس له إلا الإذعان دون أدنى معارضة وإلاّ تعرّض إلى الطرد والفصل تعسفياً وتوقفت أجرته وبالتالي حاجته، وهو عبد الحاجة، وأينما كانت حاجته كان رهيناً، وما دامت مرتبطة بالأجرة، فلا يمكن أن يبدي أدنى معارضة أو مناورة لأن صاحب العمل بالمرصاد، أو أصحاب الحاجة في الانتظار، وبأجرة أقل حسب الضرورة والحاجة، فالذي لم يجد ما يأكل في أمسّ الحاجة ممن لم يجد ما يُدخن، أو ما يفترش، ولما كان صاحب العمل مدركاً هذا، فهو يبحث لسلطته واستغلاله أكبر مساحة لعرض عضلاته ومشتل نزواته، والتفكّه بسيادته اللامحدودة: **(ان الأجراء مهما تحسنت اجورهم هم نوع من العبيد)**.

ولا ينطلق الكتاب الأخضر إلا من قاعدة صلبة نحو نظرة أبعد مما نتصور، فما دامت الأجرة لا تساوي ربح صاحب العمل أو نصيب كل عنصر من عناصر العمل فالأجير عبده ولا تختفي أو تسقط صفة العبودية إلا باقتسام الإنتاج حسب قاعدة عناصره، وهذا ما يلقى معارضة شديدة وشرسة من طرف أصحاب العمل رغم منطقية هذا الغرض من حيث

استجابته لمبدأ العدالة الطبيعية وإشاعة التطلعات الإنسانية السامية، فالعامل الشريك لا شك أن مردوده أفضل من العامل الأجير، والفائدة مع صاحب العمل قد تكون أحسن مع الشريك والاطمئنان أوفر، فهذا يعمل بكل ما أوتي من أجل رفع إنتاجه وبالتالي نصيبه وهذا يستلزم رفع حصة صاحب العمل، ويتم هذا دون أي تقاعس أو تهاون أو تحايل، وبدون رقابة أو إجبار، عكس الأجير الذي يحسّ في قرارة نفسه أنه مظلوم ومهضوم الحق، معتبراً صاحب العمل خصمه وعدوّه اللدود والثعبان الذي يمتص دمه يومياً دون رحمة أو شفقة غير آبهٍ بأناته فيؤدي هذا إلى شتى سبل التحايل للتهرب من أداء العمل على الوجه المطلوب.

ومهما كانت الرقابة صارمة والإجبار تسلطياً، فإن العمل لا يعرف في سيره طريقته الطبيعية، هكذا تتنامى روح العداء والانتقام ويزداد شرخ التنافر بين الطرفين اتساعاً.

فما هو الأفضل، الصورة الأولى التي تسعد الاثنين معاً وتلبي حاجياتهما، ويكون الانتاج هدفاً مشتركاً، أم الثانية التي يكون فيها الانتقام الغاية المبيتة والتطاحن الوتيرة المستديمة؟

(إن الأجير هو شبه العبد للسيد الذي يستأجره،
بل هو عبد مؤقت وعبوديته قائمة بقيام عمله

مقابل أجر من صاحب العمل، بغضّ النظر عن شخصية صاحب العمل من حيث هو فرد أو حكومة، فالعاملون من حيث علاقاتهم بالمالك أو المنشأة الإنتاجية ومن حيث مصالحهم الخاصة واحدة، فهُم أجراء في كل الحالات الموجودة الآن في العالم، رغم أن أوضاع الملكية مختلفة من اليمين إلى اليسار حتى المنشأة الاقتصادية العامة لا تعطي لعمالها إلا أجوراً ومساعدات اجتماعية أشبه بالإحسان الذي يتفضل به الأغنياء أصحاب المؤسسات الاقتصادية الخاصة على العاملين معهم).

الإنسان يعيش

قال الله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم..﴾ إن الحياة بمعناها الحقيقي أن يحيا الإنسان نصيبه من الدنيا طبيعياً ومرتاحاً مطمئناً، آمناً من أي خطر خارجي، موفور الحاجة، حاضراً ومستقبلاً، ممارساً ما تتطلبه الحياة والمواطنة والمؤاخاة الإنسانية، له ما عليه، ولا ينقصه ما للآخرين من وسائل العيش الكريم

(والنظرية العالمية الثالثة هي بشير للجماهير بالخلاص النهائي من كل قيود الظلم والاستبداد والاستغلال والهيمنة السياسية والاقتصادية بقصد قيام مجتمع كل الناس.. كل الناس فيه أحرار حيث يتساوون في السلطة والثروة والسلاح، لكي تنتصر الحرية الانتصار النهائي الكامل).

وإن من أولويات الحياة السعيدة التي ينشدها الكتاب الأخضر للإنسان

(... إن هدف المجتمع الاشتراكي هو سعادة الإنسان التي لا تكون إلا بفضل الحرية المادية والمعنوية،وتحقيق الحرية يتوقف على مدى امتلاك الإنسان لحاجاته امتلاكاً شخصياً ومضموناً ضماناً مقدساً...)

هي تأمين الحاجة فمَن لم يُؤمِّن حاجته كان تبيعاً لمن لديه هذه الحاجيات وبالتالي يصبح جزء من حريته مسلوباً بقدر حاجته في يد الآخرين، وبقدر ما تقلّصت حرية الإنسان تضاءلت سعادته . . .

(... ولكي يكون الإنسان سعيداً لا بد أن الذي تعيش به، يمتلك حريتك أو جزءاً من حريتك والحرية لا تتجزا، ولكي يكون الإنسان سعيداً لا بد أن يكون حراً ولكي يكون حراً لا بد من أن يملك حاجاته بنفسه)،

إذن إن الحرية قد ارتبطت بالحاجة دائماً والذي يملك حاجتك، يملك قيد حريتك، بل هي مشكلة الصراع، ولولا الحاجات ما قام صراع بين الأفراد والجماعات والدول.

(... ان حرية الإنسان ناقصة إذا تحكّم آخر في حاجاته، فالحاجة قد تؤدي إلى استعباد إنسان لإنسان والاستغلال سببه الحاجة، فالحاجة

مشكل حقيقي، والصراع ينشا من تحكُّم جهة ما في حاجات الإنسان)،

لهذا طالب الكتاب الأخضر بأن يمتلك الإنسان في المجتمع الجماهيري حاجاته.

إن الإنسان الذي لا يملك مسكنه تكون حريته في يد مَن يتبع له ذلك المسكن لفترة معينة أو يستأجره إياه فهو مسلوب الحرية كلية أو جزءاً منها لأنه سجين الواقع الذي وجد عليه المسكن فلا يستطيع أن يغيِّر أو يحرّك فيه شيئاً فهو مسلوب الإرادة في فرض ذوقه ونمط عيشه، كما أنه مهدد بين لحظة وأخرى بأن يخرجه صاحب البيت بسبب أو آخر، ولا ينفع تدخل أي كان لكون المسكن في الأصل هوملك صاحبه، أو الضغط من خلاله على الآخرين وقت الحاجة

(المسكن حاجة ضرورية للفرد والأسرة فلا ينبغي ان يكون ملكاً لغيره، لا حرية لإنسان يعيش في مسكن غيره باجرة او بدونها).

وهكذا كان المجتمع الجماهيري يرفض سلوكاً حاول أصحاب المال والثروة أو النفوذ والقوة بسطه

(فلا يجوز في المجتمع الاشتراكي ان تتحكم اي جهة في حاجة الإنسان بما فيها المجتمع فلا

يحق لأحد أن يبني مسكناً زائداً عن سكناه وسكن ورثته بغرض تاجيره، لأن المسكن هو عبارة عن حاجة لإنسان آخر، وبناؤه بقصد تاجيره هو شروع في التحكم في حاجة ذلك الإنسان، وفي الحاجة تكمن الحرية).

وقد تجسّد هذا في الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان في المبدأ الثالث عشر «**أبناء المجتمع الجماهيري أحرار من الإيجار، فالبيت لساكنه، وللبيت حرمة مقدسة على أن تراعى حقوق الجيران، الجار في القربى، الجار الجنب، وألا يستخدم المسكن فيما يضر المجتمع**». فكما أعطى الكتاب الأخضر الحق للإنسان في امتلاك المسكن جعل لهذا المسكن قدسية وحرمة. فلا ينبغي لأحد أن يدخله أو يحدث فيه ما يتنافى وتلك الحرمة، ولا تتوافر هذه الحرمة المقدسة في بيت لا تملكه، فقد يدخله صاحبه بحجة، سبب أو آخر. وقد يعبث بما تملك داخله، أما بيتك فهو مستودع أسرارك ولا يدخله غيرك إلا بإذنك. وحتى يستمر هذا الحق عليك أن لا تجعل بيتك مستودع ممتلكات الآخرين وأغراضهم حتى يكون مصدر شك وريبة من طرف جيرانك، ولا تجعل بيتك مصدراً يهدد المجتمع، فهذا يفقد بيتك كل حرمة وقداسة، فكما المسكن ضرورة يجب امتلاكها فالمركوب هو كذلك، وقد يصبح وسيلة

ضغط كما هو في أيامنا هذه، فوسائل النقل أو الركوب أصبحت من ضرورات العصر، فبسببها قد تفقد منصبك لكثرة تأخرك عن مواعيد العمل، كما تفقد كثيراً من حاجاتك وقد تتعرض أنت أو أفراد أسرتك لمكروه كأن تكون في حالة مرض مفاجئة، فلا تجد من يذهب بك إلى المصحة، أو يرفض صاحب المركوب، إنه يتحكم في حاجاتك هذه، وقد يستغل ظرفك ليبتزّ منك أضعاف ثمن المركوب. إنك في هذه الحالة لا تجد إلا أن تخضع لمنطقه، ويمارس عليك سلطته، وقد يهينك ولا تستطيع رد الإهانة، فأنت بظرفك هذا فاقد لحريتك، إذن المركوب ضرورة للفرد والأسرة، فهي حق الإنسان كما ورد في الكتاب الأخضر، ويمنع الناس أن يمتلكوا وسائل نقل قصد تأجيرها لأن ذلك تحكم في حاجة الآخرين

> **(... المركوب حاجة ضرورية أيضاً للفرد والأسرة. فلا ينبغي ان يكون مركوبك ملكاً لغيرك، فلا يحق في المجتمع الاشتراكي لإنسان أو جهة اخرى أن تمتلك وسائل ركوب شخصية بغرض تاجيرها لأن ذلك تحكّم في حاجة الآخرين).**

إنك إذا لم تكن ضامناً معاشك أو ارتزاقك فأنت في حيرة من أمرك، فالمعاش الذي يكون عن طريق أجرة أو صَدَقَة فهو

يفتقد ضمانة دائمة، ولا حياة بلا معاش دائم الضمان، فكل من يعتمد أجرته معاشاً، فهو في قلق دائم على حياته ولا يهنأ له بال مهما توفّر لديه، لأنّه غير ضامن ما يلي يومه. ومثل هذا بعيد عن مسرح السعادة والطمأنينة. تمر أيامه دقائق وساعات قلق وتفكيراً مما يزيد في تأزم وضعيته من شتى الجوانب، لهذا كان من الحاجات الأساسية التي لم يهملها الكتاب الأخضر بل أعطاها أهمية قصوى:

> **(المعاش حاجة ماسة جداً للإنسان، فلا يجوز أن يكون معاش أي إنسان في المجتمع أجرة من أي جهة أو صدقة من أحد فلا أجراء في المجتمع الاشتراكي بل شركاء. فمعاشك ملكية خاصة تديرها بنفسك في حدود إشباع حاجتك، أو يكون حصة في إنتاج أنت أحد عناصره الأساسية، وليس أجرة مقابل إنتاج لأي كان).**

إن المعاش المضمون الديمومة هو من أوليات حقوق الإنسان، ولا يمكن أن يطمئن إلا وهو مرتاح من هذا الجانب، وهكذا المجتمع الجماهيري يتضامن ويكفل ويسد حاجاته، ويوفّر لهم معيشة محترمة وحياه سعيدة تليق بكرامة الإنسان، ففي هذا المجتمع ليس هناك مشرّدون أو متسكّعون

أو مرضى في الشوارع، أو متسوّلون أو معوزون، بل هناك تضامن يقضي على هذه الظواهر ويبعد شبحها في حين نراها مألوفة ومتفشية في جلّ بقاع الدنيا، والمجتمع الجماهيري يرعى شؤون أفراده ويصونها كما يلبي حاجيات المريد ويأخذ بيد من لا وليّ له **«المجتمع الجماهيري يكفل لأفراده معيشة ميسّرة كريمة، وكما يحقق لأفراده مستوى صحياً متطوراً وصولاً إلى مجتمع الأصحّاء، يضمن رعاية الطفولة وحماية الشيخوخة، فالمجتمع الجماهيري وليّ لمن لا وليّ له»**. إننا أمام فكر حيّ همّه حياة الإنسان، مطلع على معاناته، مدرك أسبابها ودواعيها، فبسط أجنحة فكر نموذجي لمعالجة هذه الأمور، والإنسان السوي السعيد، بدءاً بتوفير الأساسيات كالمسكن والمركوب والمعاش، وسد منافذ الحاجة الماسة ليترك للإنسان مجال المبادرة والسعي ونشدان الصالح العام.

إن المحتاج أو المنغمس في جحيم الهموم إنسان مشلول الطاقة، مسلوب الإرادة والمبادرة لا يمكن أبداً أن يكون إنساناً نوعياً في مستوى طموحات مجتمعه ووطنه وأمته، والإنسانية ككل، بل إن طاقته بُعثرت في ما لا يفيد، وأهدرت قوته في ضروريات كان للمجتمع توفيرها حتى ينال في ذلك الفرد ما هو أكبر.

إن المجتمع الذي لا يضمن لمواطنيه هذه الأساسيات يخسر أضعاف ذلك، كما أن المجتمع الذي لا ينتبه إلى الأخطاء البسيطة، سرعان ما يصحو عليها وهي عملاقة يصعب الإحاطة بها مهما كانت الحلول، والمجتمع الذي لا يجعل الرقابة بدءاً لا يضمن نجاعة الدواء، ومن ثمة فإن فتح مجال الملكية الفاحشة سيؤدي إلى ظهور جحافل من الفقراء التي ستزحف يوماً كردّ فعل على حصر الثروة في يد أقلية، والمجتمع الذي يترك الأرض عرضة للاحتكار والتملك غير الشرعي أو الذي فوق الحاجة، سرعان ما يجد أناساً كثيرين خارج الأرض، فكم أناس ملكوا ملايين الهكتارات، وكم من أناس لا يملكون متراً مربعاً بالرغم من أن الأرض للجميع، وكل له أن يستغل قدر حاجته، فهي ليست لأحد ولا وقفاً عليه، ومن العبث الأخلاقي أن نعتقد غير هذا.

. . . وما وقفة الكتاب الأخضر عند هذا الأمر إلا إدراك لأهميته وخطورته، فجاءت الوصفة خير علاج

(الأرض ليست ملكاً لأحد، ولكن يحق لكل واحد استغلالها للانتفاع بها شغلاً وزراعة ورعياً مدى حياته وحياة ورثته في حدود جهده الخاص دون استخدام غيره بأجر أو بدونه وفي حدود إشباع حاجاته، إنه لو جاز امتلاك الأرض

لما وجد غير الحاضرين نصيبهم فيها، وأن الأرض ثابتة، والمنتفعون بها يتغيرون بمرور الزمن مهنة وقدرة ووجوداً).

وتستمر الثورة الخضراء في رسم مسارات حياة الإنسان الفضلى، ومتطلبات ذلك. فالإنسان هو أولى بأن يمارس حقوقه كاملة، فيبني علاقاته المختلفة مع بني جنسه دون أي عراقيل أو موانع، ويمد صلاته المختلفة مع من يرى فيهم أهلية الاختصاص أو الهواية أو المصير والانتماء.

«أبناء المجتمع الجماهيري يؤكدون حق الإنسان في التمتع بالمنافع والمزايا والقيم والمثل التي يوفرها الترابط والتماسك والوحدة والألفة والمحبة الأسرية والقبلية والقومية والإنسانية، ولذا فإنهم يعملون من أجل إقامة الكيان القومي الطبيعي لأمتهم ويناصرون المكافحين من أجل إقامة كياناتهم القومية الطبيعية». ولما كانت الأسرة أول لبنة في البناء الاجتماعي، فقد أولاها الكتاب الأخضر عناية وجعلها منطلق الإنسانية

(فالأسرة بالنسبة للإنسان الفرد أهم من الدولة. الإنسانية تعرف الفرد (الانسان) السوي يعرف الأسرة، والأسرة هي مهده ومنشاه ومظلته الاجتماعية طبيعياً. الإنسانية، الفرد والأسرة وليس الدولة...).

ومن حق الإنسان تكوين هذه اللبنة التي يجب أن يترعرع داخلها مرتاحاً متشبعاً بقيمها، حتى ينشأ نشأة اجتماعية كافية، فالأسرة هي غطاء الإنسان أولاً، ومنها يتلقى القدر الكافي من مستلزمات الحياة الإنسانية فهي ضرورية كما هي القبيلة التي هي الأسرة الكبيرة تقدّم للفرد تربية اجتماعية أكثر، وحماية أوفر ومنها تمتد فروع قومية وتزهر لتكون الأمة التي هي كيان ضمنه الكتاب الأخضر كحق من حقوق الإنسان وهي شرط ليستفيد من المنافع والمزايا والقيم والمثل التي تكون نتيجة الترابط الاجتماعي والتماسك الأخوي الموجود:

(... ولذا من المهم جداً للمجتمع الإنساني أن يحافظ على التماسك الأسري والقبلي والقومي والأممي ليستفيد من المنافع والمزايا والقيم والمثل التي يوفرها الترابط والتماسك والوحدة والألفة والمحبة الأسرية والقبلية والقومية والإنسانية).

ومن هذا نجد أن الرابطة القومية لما فيها من عناصر مشتركة وأهدافاً أهم ما يوطد ويمتن الجماعات البشرية، وأي مسّ لهذا الجانب هو عصف وزرع للفوضى وعدم التماسك:

(إن تجاهل الرابطة القومية للجماعات البشرية، وبناء نظام سياسي متعارض مع الوضع

الاجتماعي هو بناء مؤقت سيتهدم بحركة العامل الاجتماعي لتلك الجماعات، أي الحركة القومية لكل الأمة)

وغاية الكتاب الأخضر أن يفسح للإنسان حياة خالية من الحزن والقلق وعدم الاستقرار، وإخلاء العالم من طرق الاستغلال والارهاب المادي والمعنوي، والتنعم بظلال العدالة والرفاهية والأمن والمحبة واستغلال كل فرصة من أجل خدمة الصالح العام، ونشر الخير في كل مكان، ومحاربة الشر والعدوان للوصول إلى تطلعات الكتاب الأخضر، فالمجتمع الجماهيري يجعل من المواطنة حقاً مقدساً لا يجوز إسقاطها أو سحبها كما أن الناس أحرار في التنقل والإقامة حيثما شاؤوا وأرادوا، ولا يمكن لأحد أن يمنع هذا الحق إلا في حالة افتقاد السلم وحتمية الاحتياط لأجل الصالح العام.

الإنسان يفكر

لقد مُيِّز الإنسان لفترات عن الحيوان بأنه ناطق، ولكن الأرجح والمنطقي أن العقل هو ميزة الإنسان عن الحيوان، أو بعبارة أخرى التفكير وهذه الصفة التي تتفاوت بين إنسان وآخر كمّاً ونوعاً، إصابة وإخفاقاً، جعلت الأفكار مختلفة والآراء متعددة، والتصادم واقع في أكثر الأحايين، ولما كان الفكر أو التفكير مثله مثل التنفس أو الأكل والشرب ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، أو إيقافها أو التوقف عنها فهو فوق الإرادة، والتحكّم فيه مستحيل حتى من طرف صاحبه فما بالك إن حاول آخر أو أية قوة أن تمنعك من ذلك، فهي عملية ذاتية خاصة، هذا بالنسبة لمجرد التفكير أما نوعيته وجديته فهي تتوقف على الشخص، فكل حسب قدراته، وإمكاناته وظروفه، فهناك المتطرف سلبياً أو ايجابياً، وهناك الوسط وهناك المتطفل، وفي نوعية التفكير هذه أو الفكر الخاص نلاحظ أنه قد يخضع الفرد لضغوطات وممارسات تتنافى وحرية التفكير كأن يحاول

البعض أن يفرض أفكاراً أو معتقدات وتصورات على الناس، وكأن هؤلاء لا عقل ولا منطق لهم، مطالبين إياهم تبنياً أو توجيههم إلى اتجاه معين صابغين عليه صفة الصواب جاعلين التهديد والإغراء والنصح، والحرية والاستخفاف، والتمويه، والتلفيق، كلها عوامل تساعد على غرس أفكارهم في نفوس الآخرين، وترسيخ تصوراتهم ولو خطأ في الأذهان، وجعل غيرهم أذناباً لهم ولأفكارهم كما هم أذناب الآخرين، وهذا اعتداء صارخ على حرية الفكر، فاللّه لم يجعل مجموعة من الناس تشترك في عقل واحد بل جعل لكل عقلاً حتى يرسم هالة تفكيره ويستغلها بتصوراته وميوله بعيداً عن أي ضغط أو إحراج، فهل يكفي للإنساه أن يقوم بالعمليات العضوية كأن يأكل ويشرب أو يتنفس لأحس بأثرها أنا؟ ما دام هذا غير ممكن، فالفكر أولى بالاستقلالية حتى تتعدد إبداعات العقل، وتتكاثر الأفكار وتصفو، وهذا الجانب الذي نحن بصدد التركيز عليه، استهداء بالكتاب الأخضر كما جاء في الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان: «. . . **المجتمع الجماهري الذي يؤكد سيادة كل فرد في المؤتمر الشعبي الأساسي ويضمن حقه في التعبير عن رأيه علناً في الهواء الطلق، وينبذ العنف وسيلة لفرض الأفكار والآراء ويقرّ الحوار الديمقراطي أسلوباً وحيداً لطرحها. . .**» فهو الجهر بالأفكار، وإعلانها أمام الناس

وهذا هو المشكل الذي يعترض الناس، ولا يمكن لإنسان أن يعبِّر عن آرائه إلا إذا امتلك القوة كالسلاح أو الثروة أو السلطة، وبهذه الوسائل تُفرض الأفكار في المجتمعات الحديثة مهما كانت فداحة الأخطاء، وتُكمّ أفواه الضعفاء مهما كانت درجة صوابها ورشدها، إننا إذا نظرنا إلى الوراء، إلى التاريخ لوجدنا التعبير عن الرأي وإبداء الأفكار عفوياً أو كتابياً أديا إلى نهاية أصحابها بأبشع أساليب الموت، وتعرّض هؤلاء إلى شتى أنواع التنكيل والتعذيب الوحشي، ومُلئت السجون بهم ونُفي البعض، وخسرنا الصفوة منهم على أيدي المرضى فكرياً أو جسمياً أو أخلاقياً. وحتى عصرنا الحديث، عصر حرية الإنسان ما تزال الأفواه مكمّمة، والحديث والبتّ في أمورها محظور، والجرأة في موضع من هذا القبيل تؤدي إلى ما لا يُحمد عقباه، ولا يُخفى على أحد أن هذه السلوكات ممارسة من البيت إلى المدرسة إلى الشارع فالدولة، وهو إهدار لحق الإنسان وحريته، وإجهاض لأي محاولة في التمتع بالحق الطبيعي، وجريمة إنسانية، وسلوك غير حضاري البتة.

إن حرية الفكر أو التفكير هي من مبادىء ثوابت المجتمع الجماهيري، بل هي عموده الفقري الذي قام عليه، وجاء من أجله حتى يعطي للرأي والتصوّر والفكر أبعاده، فهو هاجم

الديمقراطية المزيفة، ديمقراطية المساحيق التي لا تسمح للشعب بقول كلمته، وممارسة حقه في الرفض والتعليل، والموافقة والتوضيح، ومن أجل ذلك قامت المؤتمرات واللجان الشعبية وفتح المجال لكل الناس لطرح آرائهم، دون أي ضغط أو تهديد، أو إغراء أو متابعة، وهذه هي أوجه الحرية والديمقراطية، وثار الفكر الجماهيري ضد أنواع الانتخابات والاستفتاءات، التي لا تستند إلى قواعد تضمن حرية التعبير لكل الناس، بل قواعد شكلية خادعة، وثار ضد التحزب والاستغلال الفكري والضغوطات التي تمارس على آراء وأفكار وتصورات الناس، وهكذا أسّس لعصر الجماهير، عصر حرية التعبير، عصر المؤتمرات واللجان الشعبية في كل مكان.

ومن خلال الكتاب الأخضر يظهر جلياً أن العنف والإرهاب واستعمال القوة لفرض أفكار أو تقييدها ومنع أفكار أخرى، وكمّ الأفواه ولجمها أسلوب مرفوض، ومنبوذ ومحرّم في المجتمع الجماهيري، وعلى القوى المختلفة من قدرات الجماهير أن تحاربه بشتى الطرق والوسائل حتى لا يكون تقليداً أو عادات سيئة تصيب المجتمع السليم: «... **وأبناء المجتمع الجماهيري يرفضون التفرقة بين البشر بسبب لونهم أو جنسهم أو دينهم أو ثقافتهم**».

الإنسان يعتقد

كان للّه أن يرغم الناس على اتباع مذهب أو طريق أو معتقد معيّن، والخالق أدرى بأحوال العباد، ولكن انطلاقاً من حكمته في خلق الإنسان حراً طليقاً، له أن يقرر مصيره، واتجاهه، وآية العقل التي أودعها فيه كافية بأن تجعله يتصرف حسبما يرى لا حسب ما يُملى عليه، وقاعدة الثواب والعقاب مرتبة حسب نية صاحبه لا على ما يبدو عليه ظاهراً رياء أو مخادعة، ولكن البعض يحاول أن يفرض على الناس معتقداً ما لا يستند إلى اقتناع كافٍ، ولا إلى مبررات عقلية مقنعة تتم بين قوى الإنسان الخفية، أو بينه وبين الآخرين، ولقد طوت الإنسانية في هذا الباب كثيراً من الجرائم والمصائب والويلات عبر تاريخها الطويل، ولقد أفحم القرآن الكريم هؤلاء الذين يحاولون أن يكونوا وسطاء في الأرض يفرضون على الآخرين اعتقاد ما لا يعتقدون ﴿**لا إكراه في الدين...**﴾ وهو قول مطلق لا يحتاج إلى شرح ولا إلى نقاش، ورغم هذا فما زالت

ظلمات الجهل تزحف، ولا زال أشباه هؤلاء الأشباح يحاولون أن يكونوا وسطاء بين العبد وربه، مرتدين أثواب الرشد والنصح مدعين أنهم الأدرى، وهم المؤهلون لإيصال هذا إلى برّ الايمان والأمان وترك هذا في جحيم الهوان، وأصبح الدين عصاً في يد الناس يتلاعبون بها كما يشاؤون، يوظفونه لمصالحهم الخاصة، يفسرونه حسب أهوائهم، وانجرّت على كبت هذه الحرية الكثير من المآسي، وانتشرت بسبب هذا أحقاد وأضغان ونزاعات وخصومات، وسقطت أرواح وتأخرت أمم، وأبيدت الشعوب، وتلاشت حضارات ولم يوضع حدّ لهذا الأمر الذي لا يقبله منطق العقل، الإنسان يُكره على اعتناق ما لا يريد، وعلى ترك ما يختار ويقتنع به، وإذا أبى ورفض يبلغ الأمر حد القتل والتمثيل بالجثث بدعوى أنهم الموكلون من اللّه في الأرض للقيام بالمهمة وصار المعتقد مشكلة معقدة جداً.

ولما كانت على هذا الحال فالكتاب الأخضر حسم الأمر لصالح الإنسان واعتبر هذا مرفوضاً، لا يمكن أن يمارس في مجتمع جماهيري، شعاره الحرية في كل شيء، والكلمة للشعب يحكم نفسه ويسيِّر شؤونه انطلاقاً من التفكير والمعتقد إلى ما هو أبعد. •ويتأكد هذا في وثيقة المجتمع الجماهيري الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان «**أبناء المجتمع الجماهيري يحتكمون إلى**

شريعة مقدسة ذات أحكام ثابتة لا تخضع للتغيير أو التبديل وهي الدين والعرف. يعلنون إن الدين ايمان مطلق بالغيب وقيمة روحية مقدسة خاصة بكل إنسان، عامة لكل الناس، فهو علاقة مباشرة مع الخالق دون وسيط، ويحرّم المجتمع الجماهيري احتكار الدين واستغلاله لإثارة الفتن، والتعصب، والتشيّع والتحزب والاقتتال». لقد كانت نظرة الكتاب الأخضر ثاقبة، تتوقع الأحداث والأمور قبل وقوعها واستفحالها، وتستشف ما وراء السلوكات، وتتصيّد أهداف ومرامي ألاعيب الاستغلال.

والمجتمع الجماهيري يسمح بتعدد الآراء والأفكار مثلما يؤمن بحرية الأديان والمذاهب، فالإنسان حر في هذا المنحى ولكن في حدود عدم إلحاق الضرر بالآخرين جماعات وأفراداً، مجتمعاً أو أمة، فحرية الفرد، كما هو معروف، تنتهي عند بداية حرية الآخرين.

الإنسان يبدع

لقد كانت غاية الكتاب الأخضر وبالتالي المجتمع الجماهيري جعل الإنسان في غنىً عن كثير من الاهتمامات والحاجات، وجعلها ملك يديه حتى يتفرغ إلى التأمل في هذا الكون، والعمل بجدّ من أجل الاكتشاف والخَلْق والإبداع، والسعي من أجل تحقيق رفاهية وازدهار وترسيخ مبادىء الخير والفضيلة وتقليص مساحة خارطة الشر والعدوان. ففي المجتمع الجماهيري يتوفر المناخ المناسب والظرف المساعد على تفجير طاقات الإنسان الإبداعية والفكرية والابتكارية وإغناء قاموس الإنسان بمزيد من المعارف، فالإنسان في المجتمع الجماهيري آمِن من أي تهديد ومن أي متابعة لسلوكه أو أفكاره التي لا تضرّ الآخرين.

ولطالما راح الإنسان المبدع ينشد هذه الأجواء زيادة على تشجيع عملية الابداع في كل الأمور «**المجتمع الجماهيري مجتمع التألق والابداع ولكل فرد فيه حرية التفكير والابتكار والابداع،**

ويسعى المجتمع الجماهيري دأباً إلى ازدهار العلوم، وارتقاء الفنون والآداب، وضمان انتشارها منعاً لاحتكارها». ويتدخل للإشادة والتعريف بها ونشرها على الجميع حتى تكون الفائدة أعمّ، ويمنع احتكار هذا الجانب في مكان ما أو جماعة ما لأن حق الابداع ملك للإنسان وبالتالي الإنسانية جمعاء.

تتكافأ الفرص في المجتمع الجماهيري، وتتاح للجميع حتى يعمّ منطق العدل، ويقوم مبدأ الانصاف كي لا تضيع فرص خاصةً في زخم الحاجة، وخلف الحواجز والعراقيل، وهكذا يجد أبناء المجتمع الجماهيري أنفسهم أمام خط انطلاق واحد، والوصول موقوف على قدر الاجتهاد، مما يقضي على الحرمان والكبت، وتكسير وتحطيم الطاقات، فيضيع مشروع العالِم والمفكر والأديب، والفنان، وتفقد الأمة فرسانها، دعائم الحاضر وأقطاب المستقبل.

إن المجتمع الجماهيري يضمن اختيار مجالات الإبداع كي تمضي عملية الابداع إلى هدفها المنشود. فالابداع في المجال الرياضي على سبيل المثال، يخلق أبطالاً يشرِّفون بلدانهم في المحافل، ويتوّجون بالألقاب والمكافآت، ويرفعون رايات أوطانهم عالياً، والكتاب الأخضر يجعل للرياضة أبوابها، ويعطيها حظاً أوفر من الاهتمام، ويركز على دقائق الأمور بعين

ثاقبة دائماً وفي كل موضع، إنه يرفض أن تبقى بهذا المفهوم، وتكون من حظ الأقلية، ويستخفّ بالأسلوب المتبع في كل أنحاء العالم. فالرياضة هي من نصيب بعض مَن لهم القدرة المادية والمعنوية، أي الظروف المساعدة على خلقهم أبطالاً ما. وفي الطرف الآخر متفرجون على المدرجات يملكون إمكانيات جسمية وفكرية في غياب الظروف التي أتيحت للفئة الأولى. ومن هنا يطالب الكتاب الأخضر بمراجعة العملية من أساسها وبفتح المجال لكل الناس، فهذه رياضة عامة، ومن حق الجميع ممارستها:

(الرياضة إما خاصة كالصلاة يقوم بها الإنسان بنفسه وبمفرده حتى داخل حجرة مغلقة، وإما عامة تمارس في الميادين وبشكل جماعي كالصلاة التي تمارس في المساجد بصورة جماعية، إن النوع الأول من الرياضة يهمّ شخص الفرد، أما النوع الثاني فهو يهمّ كل الشعب يمارسه كله ولا يتركه لأحد ليمارسه بالنيابة عنه...).

لا يعقل أن نحتكر الرياضة، في الوقت الذي هي حق من حقوق الإنسان يمارسها بنفسه وتعود فوائدها عليه. فالرياضة ترويض للجسم والعقل، ذات منفعة جسمية نفسية، فلا نيابة

لأحد عن أحد في ممارستها، فليس من العدل في شيء أن تمارس فئة الرياضة وتوفّر لها جميع الوسائل المساعدة، من ملاعب وأدوات وألبسة، وعلاجات ومكافآت، وكلها أموال عمومية، في الوقت الذي تجلس فيه الألوف من الناس محتشدة في مدرجات تتفرج، وهي في الحقيقة تتفرج على حقوقها المهضومة: «. . . **الرياضة العامة حاجة عامة للناس لا ينوب أحد في ممارستها نيابة عنهم مادياً وديمقراطياً. فمن الناحية المادية لا يستطيع هذا النائب أن ينقل ما استفاد لجسمه أو لروحه المعنوية رياضياً للآخرين. وديمقراطياً لا يحق لفرد أو فريق أن يحتكر الرياضة والسلطة أو الثروة أو السلاح دون الآخرين**».

لقد أصبحت الرياضة وسيلة تخدير خطير، فهذه الشعوب رضيت بالأمر الواقع، وراحت تتفرج، وفي هذا اعتراف بعجزها، فلا يمكنها أن تدخل الملاعب والميادين، وتتدرب، وتتنفس، وتعبّر عن قدراتها

> **(... إن مدرجات الملاعب العامة معدة أصلاً للحيلولة دون الجماهير والميادين والملاعب، أي لكي تمنع الجماهير من الوصول إلى ميادين الرياضة...).**

وينبّه الكتاب الأخضر الجماهير أنه

(... من الغباء تركها لأفراد ولجماعات معينة تحتكرها وتجني فوائدها الصحية والمعنوية بمفردها بينما الجماهير تقدم كل التسهيلات والإمكانيات، وتدفع النفقات لقيام الرياضة العامة وما تتطلبه).

وما قيل في الرياضة يمكن أن يقال في نشاطات أخرى كالمسرح ودُور التمثيل، ويلتفت الكتاب الأخضر إلى الرياضة ليستخف بأنواع منها والتي لا تمت للرياضة الحقة بصلة بقدر ما هي تعبير عن همجية الإنسان ووحشيته وعدوانيته.

(أما الملاكمة والمصارعة بانواعها فهي دليل على أن البشرية لم تتخلص بعد من كل السلوك الوحشي ولكنها ستنتهي حتماً عندما يرقى الإنسان درجات أكثر على سلم الحضارة).

ومن خلال أنواع الرياضات القتالية تتمثل بدائية الإنسان ووحشيته في أبشع صور الصراع والتناطح والعنف الدموي بين إنسان وآخر. إلى صور أكثر بشاعة، هي جرّ بعض الحيوانات المسالمة إلى حلبات الصراع والاقتتال، بل يذهب الأمر إلى التفنن في طرق تقتيلها أمام آلاف المتفرجين كما هو الحال

بالنسبة إلى ما يسمى رياضة مصارعة الثيران

(... وأصبح الإنسان يضحك على نفسه ويتحسر لها في ذات الوقت لأنه كان يمارس تلك الأمور. وهكذا شان الملاكمة والمصارعة بانواعها بعد عشرات ومئات السنين... ولكن الأفراد المتحضرين أكثر من غيرهم والأرقى عقلياً هم القادرون الآن على تجنب ذلك السلوك الوحشي ممارسة وتشجيعاً).

إن الرياضة في المجتمع الجماهيري هي سبيل الصحة الجسمية والعقلية، واستنهاض لكوامن الإنسان الابداعية، كما هي نشاط مكمل لبقية الأنشطة التي تخلق فرد المجتمع الجماهيري وتدفعه قدماً، لا أداة تخدير وتلهية للتلاعب بعواطف الجماهير لإبعادها عن اهتمامات شتى..

الإنسان يتكامل

أ ـ المرأة:

(إن تجاهل الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة والخلط بين أدوارهما اتجاه غير حضاري على الاطلاق ومضاد لنواميس الطبيعة.. مهدم للحياة الإنسانية.. وسبب حقيقي في بؤس الحياة الاجتماعية).

إن قضية المرأة، وحقوقها ظلت عبر الأزمنة والأحقاب منطلقاً لكثير من الأخذ والرد، والصدامات الفكرية والتصورية، وكل فلسفة ادعت اتجاه أصحابها، وفسّرت غايات بعيدة عن المنطق ممن يدعون الفكر والمصلحة الإنسانية والتفويض الحقي، وعبر كل هذه الاشتدادات النقاشية كانت المرأة هي الخاسرة والموزعة بين أضرار الرجال، وأنياب الجهل والامبالاة، كانت أشبه بخرقة بالية ينظف بها لتُرمى بعيداً، مثل الوردة التي تلفظ مع أول ذبول، ومع القوة لا يجدي اللين،

فلا الكتب السماوية ردعت هؤلاء ولا الفلسفات شبه المشلولة، فالقوي يفسّر كل شيء، وفق ما يريد.

لقد فُهمت المرأة عبر العصور على أنها متعة ووسيلة للذة، وبعدها مجرد عبدة في أفضل وضعياتها. ولقد فضح القرآن الكريم جماعات من هؤلاء البشر الذين كانوا يعتبرون المرأة مصدر شؤم ومصائب، وجراء هذا دفنت حية رغم نداءات الأبوة والأمومة الصارخة من الأعماق، ورغم دموع الاستغاثة والرحمة المنبعثة من أعماق الثرى، كما عُذبت ومُثّل بجسدها في أكثر من مكان، وعبر خريطة التاريخ كانت المرأة تتأرجح بين مفاهيم متباينة، فهي مرة شيطاناً، وتارة حيواناً، أما في العصور الحديثة فنظر إليها نظرة ما بين الحيوان والإنسان، وعلى هذا كانت تكلف بأعمال غير إنسانية، تعمل الساعات الطوال، وتعامل أسوأ المعاملات، ولا تُستشار في أبسط ما تمتلك وأثمن ما تحافظ عليه من أنوثتها. ولما جاء عصرها الذهبي كما يدّعون، وتحدثوا عن ثورتها لأجل نيل حقوقها، لتصبح صاحبة حق كالرجل، لها ما له، وعليها ما عليه خدعت المرأة مرة أخرى بهذه الكلمات البراقة، وهي جاهلة أن شبه الحقوق هذه لم تعط لها مجاناً بل مقابل سلب تميزها الأنثوي وطبيعتها كمخلوق، ميز باللطافة والجمال.

إنهم بهذا يجرّدونها من أسباب وجودها، فإذا انتفت هذه المميزات فلا وجود لها. إن قضية المرأة وحقوقها نراها واضحة المعالم، على صورتها الحقيقية، كما في الكتاب الأخضر الذي حسم أهم القضايا، وأعقدها وأبسطها. ففيه يتبين لنا متى تتساوى مع الرجل ومتى يتميزان عن بعضهما البعض، فإنسانياً لا فرق بين الرجل والمرأة، ومن السخافة أن يقال غير هذا فالطبيعة ذاتها لم تقل، والسماء في خطاباتها لم تضع هذا التمايز في الحسبان بل كانت لفظة الإنسان هي الجامعة المعبرة الدالة، وفي التكاليف الشرعية لم يرد التمييز إلا في الطارىء كالفرق بين المريض والسليم فالرجل والمرأة كلاهما إنسان وكفى:

(المراة إنسان والرجل إنسان ليس في ذلك خلاف ولا شك. إذن المراة والرجل متساويان إنسانياً بداهة وان التفريق بين الرجل والمراة إنسانياً هو ظلم صارخ ليس له مبرر، فالمراة تاكل وتشرب كما ياكل الرجل ويشرب، والمراة تكره وتحب كما يكره الرجل ويحب.. والمراة تفكر وتتعلم وتفهم كما يفكر الرجل ويتعلم ويفهم، والمراة تحتاج إلى الماوى والملبس والمركوب كما يحتاج الرجل إلى ذلك، والمراة تجوع وتعطش كما يجوع الرجل ويعطش..

والمراة تحيا وتموت كما يحيا الرجل ويموت).

هكذا ينفي الكتاب الأخضر أي فرق من الناحية الإنسانية بين الرجل والمرأة، ويدل على ذلك بما فيه الكفاية، فهو ينفي بما يثبت أن منطقهم خاطىء. وكل ذي عقل يفند ما يزعمون، ومن جهة أخرى نجد الكتاب الأخضر يثبت ويؤكد فرقاً بين المرأة والرجل هم يحاولون القضاء على هذا الفرق، ولكن لا يمكن إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

والكتاب الأخضر ينظر للتمايز من ناحية الدور والوظيفة التي يقوم بها كل واحد ولا علاقة لها بالناحية الإنسانية، فهذا خياط لأنه تعلم فن الخياطة، وأنت لست خياطاً لأنك لم تتعلم فن الخياطة، وفي المقابل هو ليس طبيباً لأنه لم يتعلم الطب، وأنت طبيب لأنك درست الطب ولكن كلاً منكما إنسان لأن كل المواصفات بينكما واحدة، وتختلفان في الوظيفة، فإذا كلّف هو بالطب فليس اختصاصه وفي ذلك ضرر، وظلم وجور غير منطقي، وإذا كلفت أنت بالخياطة فهذا غير معقول، لأن كلاً وما يتقن، والفرق يكمن في الدور والظرف الذي تؤدى فيه الوظيفة

(... إذن هناك فرق طبيعي بين الرجل والمراة
والدليل عليه وجود رجل وامراة بالخليقة وهذا

يعني وجود دور لكل واحد منهما يختلف وفقاً لاختلاف كل واحد منهما عن الآخر. إذن لا بدّ من ظرف يعيشه كل واحد منهما يؤدي فيه دوره المختلف عن الآخر ومختلف عن ظرف الآخر بالاختلاف في الدور الطبيعي ذاته).

إن للمرأة دوراً كما للرجل دوراً لا يستطيع أحدهما أن يقوم بما يقوم به الآخر، وكلاهما لا بد منه، وفي أكثر أدوار الحياة نجد ما تقوم به المرأة خاصاً بها فقط، وهو في منتهى الضرورة ولا يستطيع القيام به الرجل أبداً كالحَمْل والرضاعة والحضانة.

(... إن لكل واحد منهما دوراً أو وظيفة في الحياة مختلفة عن الآخر.. لا يمكن أن يحل فيها الذكر محل الأنثى على الاطلاق، أي لا يمكن أن يقوم الرجل بهذه الوظائف الطبيعية بدل المراة..).

إن هذه المرأة المظلومة والتي انتهكت حقوقها مع مرّ الأزمنة كإنسان، هي صاحبة الفضل الأكبر في استمرار الحياة البشرية، فهي الحامل وهي المرضعة وهي المربية، وهي الزارعة في الإنسانية معاني الحب والرحمة والشفقة، وبدون أمومة يبدأ طابع الوحشية يتنامى في الأجيال

(... والجدير بالاعتبار أن هذه الوظيفة البيولوجية عبء ثقيل على المرأة يكلفها جهداً وألماً ليسا هيِّنين ولكن بدون هذه الوظيفة التي تؤديها المرأة تتوقف الحياة البشرية).

(إن الاستغناء عن دور المرأة الطبيعي في الأمومة، أي أن تحلّ دُور الحضانة محل الأم هو بداية استغناء عن المجتمع الإنساني وتحويله مجتمعاً بيولوجياً وإلى حياة صناعية).

(... أي أن المرأة لكونها أنثى تتعرض طبيعياً لمرض نزيف كل شهر، والمرأة إن لم تحض تحمل وإذا حملت تصبح بطبيعة الحمل مريضة قرابة سنة، أي مشلولة النشاط الطبيعي، حتى تضع وعندما تضع أو تجهض فإنها تُصاب بمرض النفاس وهو مرض ملزم لكل عملية إجهاض. والرجل لا يحمل وبالتالي لا يصاب طبيعياً بهذه الأمراض التي تصاب بها المرأة لكونها أنثى والمرأة بعد ذلك تُرضِع ما كانت تحمله رضاعة طبيعية قرابة العامين، والرضاعة الطبيعية تعني أن المرأة يلازمها طفلها وتلازمه بحيث تصبح كذلك مشلولة النشاط، ومسؤولة مباشرة عن إنسان آخر هي التي تقوم بمساعدته

في القيام بكل الوظائف البيولوجية، وبدونها يموت والرجل لا يحمل ولا يرضع، انتهى شرح الطبيب. إن هذه المعطيات الطبيعية تكون فروقاً خلقية لا يمكن ان يَتساوى فيها الرجل والمرأة..)

انطلاقاً من هذا، نجد أنه ما دامت المرأة مؤدية هذا الواجب الضروري، فلا بد أن تقابله حقوق وافية لها، بدءاً من وجوب التمييز بين ما تقوم به كجنس لطيف، جميل

(... والأنثى في النبات والحيوان والإنسان خلقت طبيعياً جميلة ورقيقة...)

وكإنسان مريض نتيجة الواجب العظيم الذي تؤديه

(... ومن الظروف الملائمة تكون ضرورة أيضاً كي يتسنى لها أداء مهمتها الطبيعية والتي تختلف عن الرجل هي تلك الظروف التي تناسب إنساناً مريضاً مثقلاً بداء الحمل..).

ومن هنا نرى أنها لها الحق في ممارسة الأعمال التي تناسب وضعيتها كأنثى وكمنشغلة بواجب الأمومة وما يتبعها، وكربّة بيت، ومصدر حب ودفء وسعادة للرجل، ومن الطبيعي أن تمارس المرأة أعمالاً مخففة أو مكمّلة للدور المنوط بها، والرجل

يمارس بقية الأعمال كجنس خشن له من السلامة والقوة والوقت والأهلية القدر الكافي. لقد ضمن الكتاب الأخضر للمرأة أقدس الحقوق والتي هي طبيعية لا فضل لأحد فيها، فلها حرية التصرف في نفسها وفي ممتلكاتها وتقرير مصيرها

(... فالكائن الحي عندما يخلق حياً هو كائن وحتماً يعيش إلى أن يصير ميتاً، هو الحرية الطبيعية...).

وفي شأن الزواج

(إن المرأة والرجل لا فرق بينهما في كل ما هو إنساني فلا يجوز لأي واحد منهما أن يتزوج الآخر رغم إرادته أو أن يطلّقه دون محاكمة عادلة تؤيده... أو أن تتزوج المرأة دون اتفاق على الطلاق أو أن تتزوج الرجل دون اتفاق أو طلاق، والمرأة صاحبة المنزل...).

ولما كانت في وضعية استغلالية لا تُحسد عليها

(إن كل المجتمعات تنظر للمرأة الآن كسلعة ليس إلا.. الشرق ينظر إليها باعتبارها متاعاً قابلاً للبيع والشراء، والغرب ينظر إليها باعتبارها ليست أنثى).

إن الكتاب الأخضر يدعو ويؤيد المرأة في النضال من أجل بقاء مقوماتها كأنثى من خلال الابتعاد عما يشوه الأنوثة والذي يدعونها إليه بدعوى الحرية

(... إن المرأة لها حقوقها كاملة دون أن تجبر على التحول إلى رجل والتخلّي عن أنوثتها).

ومما يحاولون خداعها به هو ما يساويها مع الرجل في القيام بالمهمات، وهذا كلّه تجنٍّ على الطبيعة الأنثوية ولكن الكتاب الأخضر بالمرصاد.

(... ان العمل الذي يناسب الرجل ليس دائماً هو العمل الذي يناسب المرأة..).

فالتساوي

(في الحقوق الإنسانية بين الرجل والمرأة والكبير والصغير.. ولكن ليست ثمة مساواة تامة بينهم فيما يجب ان يقوموا به من واجبات).

وكما يرصد الكتاب الأخضر حقوق المرأة ويدافع عنها، فلا ينسى واجباتها كإمرأة، ويرى أنها ما دامت خلقت طبيعياً لهذه الأمور لن تتخلى عنها إلا لأسباب..

(فالمرأة التي تُمنع عن الحمل أو الزواج أو الزينة

والرقة لأسباب صحية فهي تتنازل عن دورها الطبيعي في الحياة تحت هذا الظرف القاهر أيضاً. والمرأة التي تمتنع عن الحمل أو الزواج أو الأمومة... إلخ، دون أي سبب مادي فهي تتنازل عن دورها الطبيعي تحت ظرف قاهر من الشذوذ المعنوي عن الطبيعة الخلقية. وهكذا فالتنازل عن القيام بالدور الطبيعي للأنثى أو الذكر في الحياة لا يمكن أن يكون إلا تحت ظروف غير طبيعية معاكسة للحرية مهددة للبقاء، وعليه فلا بد من ثورة عالمية تقضي على كل الظروف المادية التي تعطل المرأة عن القيام بدورها الطبيعي في الحياة والتي تجعلها تقوم بواجبات الرجل لكي تتساوى معه في الحقوق...).

أما أن تعمل المرأة أم لا تعمل والتي ظلت مشكلة قائمة هنا وهناك ووظفت في جلّ الأغراض السياسية والدينية، وغيرها فإن الكتاب الأخضر ينظر إليها من الجانب الذي وجب أن ينظر إليه.

(وهكذا فالمسالة ليست أن تعمل المراة أو لا تعمل... فهذا طرح مادي سخيف. فالعمل يجب أن يوفره المجتمع لكل أفراده القادرين عليه

والمحتاجين له رجالاً ونساءً ولكن أن يعمل كل فرد في المجال الذي يناسبه... وأن لا يضطر تحت العسف أن يعمل ما لا يناسبه، أن يجد الأطفال أنفسهم في ظرف عمل الكبار ذلك جور ودكتاتورية، وأن تجد المرأة نفسها في ظرف عمل الرجال فذلك جور ودكتاتورية أيضاً).

إذن المرأة في المجتمع الجماهيري حقوقها مضمونة ومقدسة، وليس لطرح هذا الإشكال مبرر إنها أحد مبادىء الوثيقة الخضراء لحقوق الإنسان: «**إن أبناء المجتمع الجماهيري متساوون رجالاً ونساءً في كل ما هو إنساني، ولأن التفريق في الحقوق بين الرجل والمرأة ظلم صارخ ليس له ما يبرره، فإنهم يقررون أن الزواج مشاركة متكافئة بين طرفين متساويين لا يجوز لأي منهما أن يتزوج الآخر رغم إرادته أو يطلّقه دون إرادتيهما، أو وفق حكم محاكمة غير عادلة وأنه من العسف أن يحرم الأبناء من أمهم أو أن تحرم الأم من بيتها**».

ب ـ الطفل:

لا شك أن من اهتم بالطفل فقد اهتم بالمستقبل، والبلدان التي لا تراعي هذا المستقبل سائرة نحو النهاية دون أن تدري،

والإنسانية ككل إن هي لم تلتفت إلى هذه الشتلة وتعتني بها فهي ماشية نحو مواسم ليس فيها من ثمار غير الأشواك، وعندها لا تجد للإنسانية معنى، غير وحشية متوجة بما تتطلبه من ضغينة وانتقام، واعتداء وظلم وفوضى تدخل البشرية إلى نواميس وقوانين الغاب، وما يلاحظ من تاريخ أبعد من يومنا هذا هو أن البراءة تُغتال في أوجه صغار الإنسان، والفرح يُغتال بأشكال مختلفة، والمعاناة تزداد حتى في الدول التي تدّعي حقوق الإنسان والطفل، فطرق استغلال هذه الفئة تتجاوز حدود الوصف في غياب صحوة الضمير الإنساني جرّاء سكوت الحكومات وما تجنيه من وراء سكوتها، وعجز بعض المنظمات في ترجمة نداءاتها واقعاً وتكبر الكارثة على مرأى من العالم كله، فالأطفال يستغلون في أعمال شاقة طوال ساعات النهار يباعون ويشترون مثل قطعان الماشية وتستغل أجسادهم البريئة إلى حد استعمال أعضائها قطع غيار بشرية للذي يدفع أكثر.

إنهم يتضوعون من الجوع في بقاع العالم، أحلامهم صودرت ولم يبقَ لهم ما يسدّ الرمق، أو استبدال أسمالهم البالية، يدفعون بهم إلى ساحات الحروب والنزاعات ليكونوا وقودها، ويبقى الطفل ضحية صراعاتهم السياسية والعقائدية، ونزاعاتهم التملكية والتسلطية والعدائية، كما يبقى دائماً ضحية حق المرأة

المغتصب أو الرجل أحياناً بسبب التقاليد والتخاريف والأعراف المنحرفة في فرض زواج من غير إقناع واقتناع الطرفين، وما ينجرّ من خلاف ونزاع وشجار تعود نتائجها مباشرة على الأطفال، حيث يتعرضون إلى عقابات جسدية وهزات نفسية، نتيجة الطلاق غير المؤسس على قواعد، يفقدون أحد الأبوين، أو الاثنين معاً، فيتشرد الأبناء في الشوارع، أو يعيشون عند أناس لا علاقة لهم بهم، فيستغلون أسوأ استغلال، أو يُرمى بهم إلى دُور رعاية الطفولة في أحسن الأحوال، حيث الجو غير مناسب، والحياة دون حياة الأسرة بكثير، وفي المدرسة نجد الطفل الذي هو محور العملية التربوية فاقداً لكل حرية، بدعوى أنه غير قادر على معرفة ما يناسبه، وما يصلح له، فتكون المدرسة سجناً من السجون القديمة، كل شيء مفروض عليه، الدروس والمواد التي يريد أو لا يريد والساعات الطوال، والطرق غير المناسبة وحتى جلوسه وقيامه وخروجه ودخوله، وضحكه وبكاؤه ولا يتصرف في شيء، وهكذا حتى نهاية الدراسة فيصير إنساناً مهجناً مدجناً مهيأ لأي نوع من الاستغلال ومن أي جهة، ومثل هذا الإنسان غير قادر على تحديد مصيره ومستقبله، أو الثورة والتمرد على ما يحدّ من حريته ويسطو على حقوقه ويغتصب مستقبله، ولما كان الطفل على هذه الحال، وهو مصدر شروق الإنسانية أو أفولها في

الغد الآتي فإن المجتمع الجماهيري، أولاه العناية ودحض كل المفاهيم والالتواءات التي تضيع هذا المستقبل، فحوت الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان ما يفتح الطريق أمام براعم الأمل **«إن أبناء المجتمع الجماهيري يؤكدون أنه من الحقوق المقدسة للإنسان أن ينشأ في أسرة متماسكة فيها أمومة وأبوّة وأخوّة، فالإنسان لا تصلح له ولا تناسب طبيعته إلا الأمومة الحقة والرضاعة الطبيعية، فالطفل تربّيه أمه»**.

وتتبع الكتاب الأخضر البيئة التي يترعرع فيها منذ البدء، فقد قدّس الأسرة واعتبرها اللبنة الأولى التي ينطلق منها البنيان

(.. إن أساس حياة الأفراد هو الأسرة ثم القبيلة ثم الأمة إلى الإنسانية..)

وحتى تكون أسس الأسرة قوية متينة جاء في الوثيقة الخضراء **«إن أبناء المجتمع الجماهيري. . . يقرّون أن الزواج مشاركة متكافئة. . .»** فإذا جاء الأطفال إلى الحياة كان لهم الحق في الحضانة والرضاعة والتربية والرعاية وتكون الأم محور هذه العمليات ولا يمكن أن يعوِّضها أحد في هذا المجال. فالأم وهي وجهة الطفل العاطفية طبيعياً

(.. إذن الأم هي مظلة الحضانة الطبيعية الصحيحة، وتوجيهه لدار الحضانة بدل أمه هو

إجبار له وعسف ضد ميله الطبيعي الحر).

ثم يتطرق الكتاب الأخضر للحق الطبيعي في جمع الطفل مع أمه

(إن الأمومة وظيفة الأنثى وليست وظيفة الذكر، ولهذا فمن الطبيعي أن لا يفصل الأبناء عن الأم واي إجراء لفصل الأبناء عن الأم هو عسف وقهر ودكتاتورية)

أما أن نجعل دار الحضانة بديلاً عن الأم فقد حرّفنا العجلة عن طريقها الحقيقي وأردنا أن ننحرف بالطفل بعيداً عن الإنسانية

(إن فصل الأطفال عن أمهاتهم وحشرهم في دُور الحضانة هي عملية تحويلهم إلى ما يشبه أفراخ الدجاج تماماً حيث تشكل دُور الحضانة ما يماثل محطات التسمين التي تجمع فيها الأفراخ بعد تفقيسها.. إن بني الإنسان لا تصلح له وتناسب طبيعته وتليق بكرامته إلا الأمومة الطبيعية..)

وتكون دور الحضانة في عين الكتاب الأخضر أفضل للذين فقدوا آباءهم من أن يتولى تربيتهم آخرون ليسوا آباءهم والذين

لا أسرة لهم ولا مأوى

(اما الذين لا اسرة لهم ولا ماوى، فالمجتمع هو وليّهم ولمثل هؤلاء فقد يضع المجتمع دُور الحضانة وما إليها.. ان يتولى هؤلاء المجتمع أفضل من أن يتولاهم الأفراد الذين ليسوا آباءهم) .

وكما للطفل حقوق فإن عليه واجبات وهي أن يتعلم من المجتمع زاد المستقبل أخلاقياً ومعرفة وعملاً، وهذه الأشياء هي في الوقت نفسه من أقدس حقوقه، فالتعليم والتربية هما منطلق الطفل وغايته، ووسيلة التأقلم والتألق مع المجتمع والإنسانية ككل، وكما هو واجب على الأسرة والقبيلة أن تلقّن وتعلّم الطفل المعارف والسلوكات

(... والقبيلة مدرسة اجتماعية ينشا افرادها منذ الطفولة على تشرُّب مثل عليا تتحول إلى سلوك حياة تترسخ تلقائياً كلما كبر الإنسان...) .

ثم المدرسة التي يريدها الكتاب الأخضر هي أن تكون في المستوى المنوط بها من حيث إنها مركز إشعاع لبناء رجل الغد الايجابي، تقدِّم كل المعارف والعلوم، وتترك حرية الاختيار لأبنائها في ما يناسبهم وما يستهويهم في ظروف مناسبة دون إرغام أو إرهاق، أو عقوبات نفسية أو جسمية

(الحرية هي أن يتعلم كل إنسان المعرفة التي تناسبه والتي تؤهله لعمل يناسبه...).

لقد كان واضحاً مدى حرص الكتاب الأخضر على الحرية في كل شيء وجعل الحق في أن يقوم الكل بما يستطيع وما يريد. فمن الجور أن نجد الطفل الصغير في أعمال لا تناسب سنه وشخصيته وبراءته

(... أن نجد الأطفال أنفسهم في ظرف عمل الكبار ذلك جور ودكتاتورية).

الإنسان يتعلم

لقد كان للعلم المكان الأول في حياة الأمم المتقدمة، وكان سبباً في كل ازدهار وحضارة ونجاح وصل إليه الإنسان، وبه تحققت كرامته أكثر وساد منتهى السيادة وسعد في كل خطوة خطاها في سبيل معرفة وعلم، يجعله من خالقه أقرب، وقد كان العلم أول واجب نزل به القرآن الكريم فالله العالم العارف استخلف الإنسان في أرضه وحثّه على التدبر والتبصر في عوامل الخالق الأكبر ولنا على صفحات التاريخ والواقع حقيقة ذلك، فكل أمة اتخذت العلم غاية، ووسيلة، اختصرت طريق النجاح إلى حياة المبتغى والغاية، وراحت شعوبها تنعم سعيدة بما جنته من عقول أبنائها، وإبداعات عباقرتها، وكان لها الفضل في الوصول بالإنسان إلى درجات متقدمة في دنيا الاكتشاف والفتح المعرفي.

ولكن هذه الأمم، رغم ما وصلت إليه، فإنها ما تزال تنتهك كثيراً من حقوق الإنسان في هذا المجال، مجال التعليم،

وفي هذا كثير من الخطوات نحو الخلف وإنقاص من قدرات الإنسان، الذي يولد حراً ولكنه سرعان ما يجد أمامه قيوداً، ومن هذه القيود كما يحدّ من حرية التعليم

(الحرية هي أن يتعلم كل إنسان المعرفة التي تناسبه... وتقوده إلى عمل لا يناسبه...).

إن الكتاب الأخضر وهو ينظر إلى العلم يستوفي شروط استجداء ثماره واستجناء قطافه، فلا فائدة من علم يفرض علينا ولا يحقق لنا رغبة

(... والقبيلة مدرسة اجتماعية ينشا أفرادها منذ الطفولة على تشرب مثل عليا تتحول إلى سلوك حياة تترسخ تلقائياً كلما كبر الإنسان، على عكس التربية والعلوم التي يتم تلقينها رسمياً والتي تتلاشى تدريجياً كلما كبر الفرد لأنها رسمية ولأنها إجبارية ولأن الفرد يعي أنها ملقننة له..).

فبين الاجبارية والاختيارية فرق واسع، فمع كل إجبار ضياع للوقت والمجهود، والقدرات، ولكن الأمم ما تزال مستمرة في عملية الجبر والتلقين وتحتيم ما لا يطاق

(إن التعليم الاجباري الذي تتباهى به دول العالم

كلما تمكنت من فرضه على شبيبتها هو احد الأساليب القامعة للحرية. إنه طمس إجباري لمواهب الإنسان، وهو توجيه إجباري لاختيارات الإنسان، إنه عمل دكتاتوري قاتل للحرية لأنه يمنع الإنسان من الاختيار الحر والابداع والتالق) .

وتضيع غاية التعليم أمام هذه الطرق الدكتاتورية

(إن التعليم الاجباري والتعليم المنهجي المنظم هو تجهيل إجباري في الواقع للجماهير) .

وحتى نصل إلى تعليم جد مثمر علينا أن نترك حرية الاختيار للإنسان فيختار ما يشاء أن يتعلمه دون إجبار أو إرغام، ولا يتم ذلك إلا بتوفير دُور التعليم في كل مكان وتكون جميع المعارف متوفرة، وضمان العمل الذي يؤهل الإنسان

(يعني أن يوفر المجتمع كل أنواع التعليم، ويترك للناس حرية التوجه إلى أي علم تلقائياً، وهذا يتطلب أن تكون دُور التعليم كافية لكل أنواع المعارف وأن عدم الوصول إلى الكفاية منها هو حد لحرية الإنسان وإرغام له على تعلم معارف معينة وهي المتوفرة وحرمانه

من حق طبيعي نتيجة غياب المعارف الأخرى...)، (المعرفة حق طبيعي لكل إنسان وليس لأحد أن يحرمه منه بأي مبزر إلا إذا ارتكب الإنسان نفسه من الفعل ما يمنعه).

يرسم الكتاب الأخضر نهاية مشروطة للجهل.

(إن الجهل سينتهي عندما يقدَّم كل شيء على حقيقته وعندما تتوفر معرفته لكل إنسان بالطريقة التي تناسبه).

وبهذا يكون الكتاب الأخضر قد عالج مشكلة التعليم وأعطاها أبعادها الإنسانية والأبدية حيث ربطها بالتربية والتنشئة الاجتماعية السليمة.

الإنسان يعمل

أ ـ العبودية:

لا شك أن ظِلّ العبودية ظَلَّ يطارد الإنسان منذ البدء، وفي ذلك محاكاة للقوى الخفيّة التي جعلت الإنسان لا يفعل شيئاً أمام الإرادة الأقوى، ولكن الكتب السموية جاءت لتجعل من تلك العبودية كرامة للبشر، فهي مجرد شكر واعتراف بفضل الخالق علينا، فنحن عباد الخالق وحده ولا عبادة لمخلوق فكل البشر أحرار «**متى استعبدتم الناس وقد ولدتكم أمهاتكم أحراراً؟**» ولكن الإنسان ظَلّ يمارس العبودية ضد أخيه الإنسان، فالسيد من أوتي قوة في الجاه، أو كثيراً من المال أو النفوذ في السلطة، والعبد من حرم من هذه الأمور، ورمت به الحاجة إلى أحضان هؤلاء الجبابرة، والأغنياء والأقوياء والحاجة كما جاء في الكتاب الأخضر (**في الحاجة تكمن الحرية**) فمتى كانت حاجاتك عند الآخرين كانت حريتك في أيدي هؤلاء، وبقدر ما تفقد من حرية تهوى في أشراك العبودية وتفقد حرية

القرار، فرداً كنت أو جماعة أو دولة أو أمة، لقد ساوت بشاعة العبودية بين الإنسان وبقية أنواع المتاع فهو يباع ويشترى كالمواشي والأثاث، وسيقت جحافل البشر إلى أسواق الرقيق، وأخذت إلى أغراض مختلفة، للخدمة المنزلية، والأعمال الشاقة القاهرة، وللحروب والتسلية واللعب، والقضاء على رتابة الوقت بالتفكه على الآدميين بأشكال مختلفة، بالتعذيب والتنكيل والإذلال النفسي وما إلى ذلك دون رحمة أو وخزة حياء أو استيقاظ للضمير الإنساني، ولقد حاولت الأديان تخفيف ذلك وعلى رأسها الإسلام، الذي ركّز على التخفيف من وطء هذا السلوك، وأوجب حسن معاملة العبد، وفي تدرج إلى تحريم هذه العادة والفعل الذي لا يشرّف الإنسان، ولقد أوصى الرسول (ص) بالعبد معاملة حسنة، ولكن الإسلام لم يحسم في العملية وتركها للإنسان كي يتخلص منها مع خطوات يخطوها نحو الحضارة والصحوة من غفوة الجهل، وإذا كانت في بعض الدول تكاد تختفي، بصورتها القديمة من بيع وشراء، فإنها أخذت أشكالاً أخرى لتبعث من جديد تحت أغطية خادعة، وشرعيات مزيفة، حتى جاء الكتاب الأخضر المبشر بعصر الجماهير عصر الحرية والانعتاق، وكشف كل أنواع المخادعات، والمهاترات. والنظريات التي يركز عليها الكتاب الأخضر تعالج موضوع العبودية، بل أن المشكل الذي جاء من أجله الكتاب

الأخضر، وسخّر له المفكر العظيم معمر القذافي هو تحرير الإنسان في كل مكان وزمان من قيود العبودية وأغلال الاستغلال والدكتاتورية العمياء، فالديمقراطية المزيفة التي تجعل شرذمة من الناس تحكم الشعب هي عبودية، وجماعة من الحكام تضع الدساتير، وجماعة أخرى تتجمع في يدها الأموال والسلطة والسلاح، فهذه الديمقراطية تصبح أداة عبودية تنصّب القليلين أسياداً والملايين عبيداً

(إن حرية الإنسان ناقصة إذا تحكّم آخر في حاجته، فالحاجة قد تؤدي إلى استعباد إنسان لإنسان، والاستغلال سببه الحاجة...)

ومن أشكال العبودية العلاقة بين صاحب العمل والعامل فهذا الأخير يعمل مقابل أجرة والأجرة جزء قليل من المنتج الذي يعود إلى صاحب العمل الذي لولا العامل ما حصل على هذا الإنتاج... ولكن صاحب العمل يمارس العبودية بدءاً من الأجرة التي لا تكفي حاجاته إلا معاملته التي يتلقاها العامل، وهي معاملة السيد للعبد، وما دامت الحال هذه فأثر العبودية يتوزع على كامل ساعات العمل اليومية **(إن الاجراء مهما تحسنت اجورهم نوع من العبيد)**، والذي لا يملك بيتاً أو مركوباً أو معاشاً فهو عبد لمن يوفر له ذلك سواء مقابل أجرة أو بدونها

لأن حاجته عند شخص آخر، وخوفاً على حاجته، يكون في وضعية العبد لسيده (.. **لا حرية لإنسان يعيش في مسكن غيره، باجرة او بدونها**). ويقدّم الكتاب الأخضر صورة واضحة عن العبودية في العصر الحديث، وهي خدم البيوت، فهؤلاء الناس صورة لا تختلف عن رقيق الماضي في شيء (**خدم المنازل سواء أكانوا باجر او بدونه هم أحد حالات الرقيق، بل هم رقيق العصر الحديث**). لقد حرّم المجتمع الجماهيري على نفسه بأن يرى خدماً للبيوت أذلاّء يفتقدون لحرياتهم وكرامتهم فهم عبيد مملوكون من طرف أسياد لا يتأخرون في معاملتهم بأسوأ استغلال وأفظع الاهانات. ولقد جاء في الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان «**أبناء المجتمع الجماهيري يرون في خدم المنازل رقيق العصر الحديث وعبيداً لأرباب عملهم لا ينظم وضعهم قانون، ولا يتوافر لهم ضمان وحماية، يعيشون تحت رحمة مخدوميهم، وضحايا للطغيان ويجبرون على أداء مهمة مذلّة لكرامتهم ومشاعرهم الإنسانية تحت وطأة الحاجة وسعياً للحصول على لقمة العيش، لذلك يحرم المجتمع الجماهيري استخدام خدم المنازل، فالبيت يخدمه أهله**».

حتى مدارس العصر الحديث ما زالت تمارس على أبنائها منطق السيد العبد، فالطالب لا يتدخل في اختيار ما يتعلم،

ومتى يتعلم، وكيف يتعلم، فهو يكاد يكون محروماً من كل أثر للحرية، والكتاب الأخضر يثور على هذه الممارسة لأنها تحدّ من حرية الطالب وتقتل في داخله مواهبه الفطرية ويجبل على نمط الإذعان لكل ما يقدم له أو يطلب منه. وبعبارة أخرى ينشأ عبداً حسب ما خطط له

(الحرية هي ان يتعلّم كل إنسان المعرفة التي تناسبه وتؤهله لعمل يناسبه).

وهكذا يتحرر الإنسان في المجتمع الجماهيري من كل أشكال العبودية والتمييز بسبب الدين أو اللغة أو اللون، أو الثقافة ويمنع ممارسة ضغط من أي كان. ففي المجتمع الجماهيري يتنفس الإنسان أزكى أنسام الحرية ويرقى إلى منتهى درجات الكرامة الإنسانية بمختلف أبعادها.

ب ـ العدالة:

في كل ما يقوم به الإنسان لا بدّ من صواب وخطأ، ولما كانت هناك مسارات محددة، ومبينة حددها القانون المنبثق عن العرف والدين لتحقيق العدالة. (**الشريعة الطبيعية لأي مجتمع هي العرف والدين...**)فقد تيسّر للإنسان أن يعرف ماذا يفعل، وما يفعله. ومن هنا قام مبدأ الجزاء وكذلك الأمر بالنسبة للكتب السموية، فما كان للّه ليعاقب الإنسان إلا بعد أن

يرسل إليه رسلاً وبعدها إذا هو لم يلتزم استحق العقاب. أما أن يكون العقاب غاية في حد ذاته، فهذا هو الخطأ الفادح، إن المفهوم الحقيقي للعقاب هو إصلاح وإعادة الأمور إلى أصولها، ولكن للأسف فلقد صار العقاب هدفاً وغاية، (.. **إن موسوعات القوانين الوضعية الناشئة عن الدساتير الوضعية مليئة بالعقوبات ضد الإنسان..**)، والكتاب الأخضر يرفض أن يكون مصدر شريعة المجتمع غير العرف والدين

(الدين احتواء للعرف والعرف تعبير عن الحياة الطبيعية للشعوب... إذن الدين المحتوي للعرف تاكيد للقانون الطبيعي... إن الشرائع اللادينية اللاعرفية هي ابتداع من إنسان ضد إنسان آخر، وهي بالتالي فاقدة للمصدر الطبيعي الذي هو العرف والدين)

لماذا العرف والدين في الكتاب الأخضر؟

(اما العرف فهو خال تقريباً من تلك العقوبات.. العرف يوجب عقوبات أدبية غير مادية لائقة بالإنسان.. الدين يحتوي العرف ويستوعبه...ومعظم العقوبات المادية في الدين مؤجلة واكثر احكامه مواعظ وإرشادات وإجابات على أسئلة، وتلك انسب شريعة لاحترام

الإنسان. الذين لا يقرر عقوبات أدبية إلا في حالات قصوى ضرورية للمجتمع)

فمن العدل أن تترك الإنسان يختار شريعته الطبيعية، التي تتناسب ونفسيته، والتزامه بها يكون أسهل وأبسط، ولأنها متأتية من الطبيعة فهي مناسبة جداً، أما أن يصطدم الإنسان كل مرة بقوانين تغيّر من مزاج حياته الطبيعية وتسلط عليه لتتدخل في حرياته واختياراته فقد تعتبر من يطالب بالأكل، أو بالعلم، أو بالعدل مجرماً وهنا تتسع رقعة الباطل وتنحسر مساحة العدل وتمتد ظلال الظلم والطغيان لتحجب سماء الحقيقة، وهكذا يكون القتل والسجن، والتعذيب والرجم، والزجر والنفي انتهاكات لحقوق الإنسان. وفي الكتاب الأخضر كما في الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان نجد أن العقوبة تتناسب وطبيعة الإنسان، ففي المجتمع الجماهيري ليس هناك ما يترك مجالاً لأخطاء الإنسان فحاجته متوفرة، وحقوقه مصونة، وآراؤه محترمة، وآماله متحققة، فما يدعو إلى الخطأ والانحراف عن شريعة مجتمعه؟ لقد عالج المجتمع الجماهيري القضية من بدايتها فإن حدث وأن انتهك أحدهم شريعة المجتمع بما يعود بالضرر على الآخرين وجب حبسه، لأن تركه يعد اعتداء على حرية الآخرين، والعقوبة في هذا الشأن هي إصلاح وتوجيه

لحماية قيم المجتمع، والمجتمع الجماهيري يقف ضد العقوبات التي تمس كرامة الإنسان وحرمته كالسجن الطويل الأمد والأشغال الشاقة وإلحاق الضرر المادي والمعنوي بشخص السجين، وينظر إلى العقوبة شخصية لا يتحمّلها آخر «**أبناء المجتمع الجماهيري يقدسون حرية الإنسان ويحمونها ويحرمون تقييدها، فالحبس فقط لمن تشكل حريته خطراً أو إفساداً للآخرين وتستهدف العقوبة الاصلاح الاجتماعي لحماية القيم الإنسانية ومصالح المجتمع، ويحرم المجتمع الجماهيري العقوبات التي تمس كرامة الإنسان، وتضرّ بكيانه كعقوبة الأشغال الشاقة والسجن الطويل الأمد، كما يحرِّم المجتمع الجماهيري إلحاق الضرر بالشخص مادياً ومعنوياً، ويدين المتاجرة به أو إجراء التجارب عليه، والعقوبة شخصية يتحملها الفرد جزاء فعل محرّم موجب لها ولا تنصرف العقوبة أو أثرها إلى أهل الجاني وذويه.. ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى..﴾** وما دام المجتمع الجماهيري يقدِّس حياة الإنسان، فإن غايته أن تلغى عقوبة الإعدام، وما هذه الحقوق والحريات التي أعطاها الكتاب الأخضر للإنسان إلا تمهيد، فبإصلاح الإنسان وتلبية حاجياته المادية والمعنوية، تستنفد أسباب الجريمة، ولا يقبل عليها إلا المرضى والمجرمون، المجرم المتمرّس في الاجرام لا حاجة للمجتمع فيه، لأنه ينطلق من طبيعة شريرة متأصلة، يحاول

إلحاق الضرر بالآخرين وانتهاك حقوقهم، كما يحرّم المجتمع الجماهيري الطرق اللاإنسانية في التنفيذ كعقوبة الاعدام «**أبناء المجتمع الجماهيري يقدسون حياة الإنسان ويحافظون عليها، وغاية المجتمع الجماهيري إلغاء عقوبة الإعدام، وحتى يتحقق ذلك يكون ذلك الإعدام فقط لمن تشكل حياته خطراً وفساداً للمجتمع وللمحكوم عليه قصاصاً بالموت، طلب التخفيف أو الفدية مقابل الحفاظ على حياته، ويجوز للمحكمة استبدال العقوبة، إذا لم يكن ضاراً بالمجتمع، أو منافياً للشعور الإنساني، ويدينون الإعدام بوسائل بشعة كالكرسي الكهربائي والحقن والغازات السامة**» ولا يكون هناك عدل، إلا إذا كانت هناك محاكمة من أناس أكفاء لهم كل النزاهة والاستقلالية، وللمتهم حق الدفاع عن نفسه دون ضغط أو إرغام «**المجتمع الجماهيري يضمن حق التقاضي واستقلال القضاء ولكل متهم حق في محاكمة عادلة ونزيهة**».

جـ ـ الأقليات:

قد يتبادر إلى الذهن أن الكتاب الأخضر يهتم ببناء المجتمع الجماهيري، ولا مكان للأقليات بل عليها أن تذوب في الأكثرية، وهذا الاعتقاد مردود على أهله، فبإهمال الأقليات معناه اعتناق مذهب الغاب، البقاء للأقوى، والقوي يأكل

الضعيف، ولكن الكتاب الأخضر أكبر من أن يهمل هذا الجانب الحساس أو يهمل نقاطاً أخرى مهما كان حجمها، فمكان الأقليات محفوظ ومصان شرط أن لا تؤدي إلى ما يضر الأكثرية، كما على الأكثرية ألا تؤدي إلى ما يضرّ الأقلية وينظر الكتاب الأخضر إلى الأقلية

(... الأقلية نوعان لا ثالث لهما.. أقلية تنتهي إلى أمة وإطارها الاجتماعي هو أمتها وأقلية ليس لها أمة وهذه لا إطار لها إلا ذاتها، وهذا النوع هو الذي يمكن إحدى التراكمات التاريخية التي تكون في النهاية الأمة بفعل الانتماء والمصير، وهذه الأقلية لها حقوقها الاجتماعية الذاتية كما اتضح لنا، ومن الجور المس بتلك الحقوق من طرف أي أغلبية، فالصفة الاجتماعية ذاتية وليست قابلة للمنح والخلع، أما مشكلاتها السياسية والاقتصادية لا تحل إلا ضمن المجتمع الجماهيري الذي يجب أن تكون بيد جماهيره السلطة والثروة والسلاح.. إن النظر إلى الأقلية على أنها أقلية من الناحية السياسية والاقتصادية هو دكتاتورية وظلم)

لقد تحقق للأقليات في المجتمع الجماهيري هدفها وضمان

ممارسة حقوقها، والتمتع بخصوصياتها وثقافاتها ومعتقداتها وتميزها، من غير ضغط أو مضايقة أو محاولة تغيير طبيعتها أو توجيهاتها، أو تهميشها ووضع العراقيل والصعوبات في طريقها من باب التمييز على أساس عنصري ومن شدة الحرص على أن تضمن حقوق الأقليات، فقد كانت من المبادىء التي ترتكز عليها الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان «... **وللأقليات حقوقها في الحفاظ على ذاتها وتراثها ولا يجوز قمع تطلعاتها المشروعة واستخدام القوة لإذابتها في قومية من القوميات**».

الإنسان يتطلع

إن هذا الكتاب الذي بين يدي البشرية اليوم، وفي متناول العدو والأخ والصديق والمثقف والإنسان البسيط، وأمام المبدع والمفكر، أمام هؤلاء جميعاً، مهما اختلفت الآراء ومهما جذبت مباعث الحسد والغيرة ومهما ترفعت غصة العناد والتعصب بأصحابها ومهما أغرته لذة المصالح والحاجات فإن ثمة سيكون اعتراف بأن هذا الكتاب وضع من أجل الإنسان، وموضوعه مشكلات الإنسان، وغايته تحرير وإسعاد بني البشر قاطبة، وقد أفلح حيث لم يفلح أي كتاب أو فكر قبله في الانتباه إلى أعقد المشكلات التي يعانيها الإنسان من بدء الخليقة، والخوض فيها بكل جرأة وشجاعة وبكل ذكاء ودراية وحكمة، ويصل إلى حلول وعلاجات ناجحة جداً.

وأصبح حل أعقد المشكلات بين طيات هذا الكتاب الذي يعتبر أفضل الكتب الموضوعية، لقد كانت النظرية العالمية الثالثة بأقسامها الثلاثة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فتحاً جديداً

في مجالات الفكر الإنساني، وقمة ما ابتدعه الفكر، لقد أفلحت كل نظرية جزئية أن تضيء أميالاً من الدياميس المظلمة منذ أقدم الأزمنة

(لا نيابة عن الشعب والتمثيل تدجيل)، (من تحزَّب خان)، (الديمقراطية هي الحكم الشعبي وليس التعبير الشعبي)، (شركاء لا اجراء)، (في الحاجة تكمن الحرية)، (البيت لساكنه)، (المنزل يخدمه أهله)، (ليس هناك فرق في الحقوق الإنسانية بين الرجل والمرأة والكبير والصغير ولكن ليس ثمة مساواة بينهم فيما يجب أن يقوموا به من واجبات)، (إن التعليم الاجباري والتعليم المنهجي المنظم هو تجهيل إجباري في الواقع للجماهير)، (الرياضة العامة حاجة عامة للناس لا ينوب احد في ممارستها نيابة عنهم مادياً وديمقراطياً).

إنها نظريات لم يسبق معمر القذافي المفكر أي عظيم أو فيلسوف في الانتباه إليها، أو إصابة المسعى والهدف مثلما أفلح المفكر معمر الفذافي إلى حد لا يتصور، وأراح بهذا الإنسانية وأعفاها مشقة البحث، وجعل الكتاب الأخضر الحل الأبدي، فما علينا إلا أن نطبقه، والحرص على صيانة ما جاء فيه بكل

دقة، إن أردنا لحياتنا معنى. إنه الطبيب الذي شخّص داء الإنسانية وقدم لها وصفة الدواء الناجع الذي يخلصها من معضلات ما تتخبط فيه، حاضراً ومستقبلاً، وما عليها إلا أن تتناول الدواء إذا أرادت الحياة، فموتها محقق، ومرضها عضال.
إذن الكتاب الأخضر دواء والثورة تناول الدواء ولا يمكن بعد هذا أن يفعل المفكر معمر القذافي شيئاً، فالشعوب تقرر مصيرها، وكلما قدم نظريات في منتهى الجرأة، والشجاعة فإن للكتاب الأخضر نبوءات مرتبطة ومشروطة بنوع الإنسان الذي يريده الكتاب الأخضر إنساناً متشبعاً بالقيم الإنسانية ومحباً لحياة الكرامة، ومعظّماً ومقدساً للحرية، ومحتقراً لكل أشكال العبودية والاستغلال والذوبان في الغير، والتبعية العمياء، ومقرراً أن يعيش عزيزاً أو يموت رافضاً كل مذلة وجبن وهوان، بهذا الإنسان ستتحقق نبوءات فكر معمر القذافي

(.. بذلك تنحل مشكلة أداة الحكم بداهة، وتنتهي الأدوات الدكتاتورية، ويصبح الشعب هو أداة الحكم، وتحل نهائياً معضلة الديمقراطية في العالم)، (والنظرية الثالثة لَبَشِيرٌ للجماهير بالخلاص النهائي من كل قيود الظلم والاستبداد والاستغلال والهيمنة السياسية والاقتصادية بقصد قيام مجتمع كل الناس،

كل الناس فيه أحرار حيث يتساوون في السلطة والثروة والسلاح لكي تنتصر الحرية الانتصار النهائي والكامل)، (فكل الدول المتكونة من قوميات مختلفة بسبب ديني أو اقتصادي أو عسكري أو عقائدي وضعي سوف يمزقها الصراعِ القومي حتى تستقل كل قومية.. أي ينتصر حتماً العامل الاجتماعي على العامل السياسي). (وهكذا فالتنازع على القيام بالدور الطبيعي للأنثى أو الذكر في الحياة لا يمكن أن يكون إلا تحت ظروف غير طبيعية معاكسة للحرية مهددة للبقاء، وعليه لا بد من ثورة عالمية تقضي على كل الظروف المادية التي تعطل المرأة عن القيام بدورها الطبيعي في الحياة والتي تجعلها تقوم بواجبات الرجل لكي تتساوى معه في الحقوق، وأن هذه الثورة ستأتي حتماً خاصة في المجتمعات الصناعية كرد فعل لغريزة البقاء وحتى دون أي محرض على الثورة كالكتاب الأخضر مثلاً)، (إن هذا الحدث التاريخي المأسوي والشعور المؤلم به، والبحث النفسي لا يمكن تجاهله في حركة الجنس الأسود ليثأر لنفسه وليسود...)، (إن كافة أساليب التعليم السائد في العالم يجب أن

تحطمها ثروة ثقافية عالمية تحرر عقلية الإنسان من مناهج التعصب والتكيف العمدي لذوق ومفهوم وعقلية الإنسان..). (إن البشرية لا زالت متاخرة ما دام الإنسان لا يتكلم مع أخيه لغة واحدة، موروثة وليست متعلمة.. ومع هذا فإن بلوغ البشرية تلك الغاية يبقى مسالة وقت ما لم تنتكس الحضارة). (إن مدرجات الملاعب العامة معدة أصلاً للحيلولة دون الجماهير والميادين والملاعب، اي لكي تمنع الجماهير من الوصول إلى ميادين الرياضة، إنها ستُخلى ثم تُلغى يوم تزحف الجماهير وتمارس الرياضة جماهيرياً في قلب الملاعب والميادين الرياضية، وتدرك أن الرياضة نشاط عام ينبغي أن يمارس، لا أن يتفرج عليه). (أما الملاكمة والمصارعة بأنواعها فهي دليل أن البشرية لم تتخلص بعد من كل السلوك الوحشي... ولكنها ستنتهي حتماً عندما يرقى الإنسان درجات أكثر على سلم الحضارة). (إن عصر الجماهير تزحف حثيثاً نحونا بعد عصر الجمهوريات يلهب المشاعر.. ويبهر الأبصار، ولكنه بقدر ما يبشّر به من حرية حقيقية للجماهير، وانعتاق سعيد من قيود أدوات الحكم... فهو ينذر بمجيء عصر الفوضى

والـغـوغـائـيـة مـن بـعـده، إن لم تـنـتـكـس الديمقراطية الجديدة التي هي سلطة الشعب.. وتعود سلطة الفرد أو الطبقة أو القبيلة أو الطائفة أو الحزب).

وهكذا تكون نبوءات المفكر الثائر والمبشر بعصر الجماهير دافعاً نحو التغيير والثورة على المفاهيم والتصورات البالية، والسلوكات المجحفة في حق البشرية.

لقد كان همّ الكتاب الأخضر الإنسان المقهور والمظلوم، والمخدوع في كل خطوة والواقع فريسة بين مخالب الأقوياء، وما يعانيه من تفرقة وكبت لنوازعه وميوله وحقوقه الطبيعية، فأراد له الكتاب الأخضر أن يثور بعد أن يعرف حقوقه. ويؤمن بها، ويختار لها الأساليب التي يستردها بها من أيدي الدكتاتوريين والمستغلين كباراً وصغاراً، ويقوم بعدها بالثورة كما رسمها المحرض العالمي والمفكر معمر القذافي، حتى يعيش سعيداً ومطمئناً، وعليه ما على بني جلدته وله ما لهم ويومئذ نقول إن الإنسانية قد طوت صفحات الباطل والتمييز والعنصرية. إن الكتاب الأخضر وهو يعطي المكانة الأولى للفرد، ويمجده ويثور من أجل كرامته، ومن أجل بروزه واستقلاليته، ومبادراته وابداعاته يؤمن أن الفرد هو الأساس،

فمن يبني سوراً غير مبال بماهية اللبنة تراباً كانت أو إسمنتا أو غير هذا، فسوره ليس مصدر أمان وسلام، كما أن الدافع الإنساني يجعل الفكر المشرق لا يلغي مميزات الفرد الإنسان في سبيل تشييد ما هو أكبر وإلا سقط في الغاية تبرر الوسيلة، لقد راعى الفكر الأخضر قضايا الإنساني وحقوقه طفلاً وامرأة ورجلاً، قوياً وضعيفاً مثقفاً ومبدعاً، وأمياً وعاملاً ومتقاعداً، ولم تكن في الكتاب الأخضر أي نظرة ضيقة، فالإنسان هو الإنسان في كل مكان وزمان، وبكل ألوانه ومميزاته وصفاته، ولم نعثر على تمييز بين الأديان أو الأجناس أو الثقافات، وهذا هو حصاد الفكر الإنساني الأصيل الذي لا يتجاذب في القضايا الكبرى إلى هذا، وذاك وهذا هو فكر معمر القذافي الثائر العالمي.

إن الكتاب الأخضر بهذا الذي يضم بين طياته، والذي يؤهله لأن يكون كتاب حل المشكلات ورصد قضايا الإنسان الكبرى بلا منازع، وهو أَولى بالتطبيق حتى تخرج الإنسانية من الضلال والاستغلال والدكتاتورية في أسرع وقت، وإن كان نموذج تطبيقه يتم الآن في ليبيا فإن مثل هذه النظريات الكبرى تحتاج إلى نيات صادقة من الرجال، وكثير من الوقت والإمكانيات المادية والبشرية حتى نصل إلى ثمار الكتاب

الأخضر، ونصل إلى المجتمع الإنساني النموذج، ولكن على الشعوب التي تريد التقدم أن تباشر في تطبيق هذا الفكر والزاد الانساني كل حسب إمكانياته، وكل ذي بصيرة لا يشك في تطبيق هذا الفكر على الواقع في كامل العالم الآن أو غداً أو بعد غد، فالفكر العظيم يحيا ولا يموت أبداً ولا تحده حدود أو تصمد أمامه عراقيل أو صعوبات، فكم من نظريات أهملت عاد إليها الناس بعد رفضها وراحت الأجيال تتسارع إلى ترجمتها واقعاً، بالرغم من أنها لا تحمل إلا حلولا جزئية، كذلك الكتاب الأخضر، فنحن نعرف تمام المعرفة الذين يحاولون عرقلة انتشاره ويسعون إلى حجب أنواره على الجماهير بشتى الوسائل حتى المخزية والهمجية منها، بل إن هناك دولاً عظمى تحاول بشتى وسائل التعتيم والمغالطة للوقوف في وجه الفكر الجديد، وهذا لا يمنع بأننا أصبحنا نسمع من حين لآخر نظريات تطبَّق هنا وهناك، حتى في المجتمعات الاستغلالية والرأسمالية وإن كانت أنانيتهم وعنادهم وحسدهم وحقدهم يجعلهم يتستَّرون ويعتِّمون على مصادرها. وهذا يدل ويؤكد قيمة ونجاعة وتحدي نظريات الكتاب الأخضر وفرض نفسها لأنها واقعية ومؤهلة لحل كل المشكلات حتى على أعداء هذه النظريات، وسوف يأتي اليوم الذي ترفع فيه الجماهير من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب الكتاب الأخضر معلنة بداية الخلاص،

وعندها يكون العالم قد صحا من كابوس الظلم والاستغلال والدكتاتورية لينعم في جو من التآلف والوئام.

الفهرس

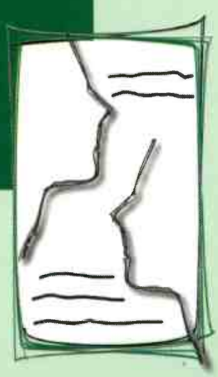
مقدمة الناشر 5
المقدمة 11
لماذا الكتاب الأخضر 15
مدخل 21
الإنسان يحكم 25
الإنسان يعمل 33
الإنسان يعيش 41
الإنسان يفكر 53
الإنسان يعتقد 57
الإنسان يبدع 61
الإنسان يتكامل 67
أ ـ المرأة 67
ب ـ الطفل 77
الإنسان يتعلم 85

الإنسان يعمل 89
أ ـ العبودية 89
ب ـ العدالة 93
ج ـ الأقليات 97
الإنسان يتطلع 101

المؤلفان:

العربي حاج صحراوي، أديب، من أعماله المنشورة:
- أحلام الغد(رواية)
- تحليقات نورس عاشق (ديوان شعر)
- عالم الحب (دراسة)
- أعمال متنوعة منشورة في الصحف والمجلات.

مصطفى بوغازي، أديب، من أعماله المنشورة:
- أحلام الفجر الكاذب (مجموعة قصصية)
- مسألة القيم في قصص الأطفال (دراسة)
- أعمال مختلفة منشورة في الجرائد والمجلات.



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
هاتف: 4445565 - 4440705 مبرق: 20668 - 20032
ص.ب: 80984 طرابلس - الجماهيرية